

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية



مذكرة ماستر

العلوم الانسانية
تاريخ
تاريخ الوطن العربي المعاصر
رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
مفيدة سعدي / سهام ظاهر
يوم: 27/06/2022

مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي

لجنة المناقشة:

مقرر	أ. مح أ بسكرة	عباس كحول
رئيس	أ. مح ب بسكرة	الصادق عبد المالك
مناقش	أ. مح أ بسكرة	بن بوزيد لخضر

السنة الجامعية : 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى فاطر السماوات والأرض فالق الحب والنوى إلى الله سبحانه وتعالى يا رب: أهدي إليك
شيئاً من جزيل عطائك، فاجعله خالصاً لوجهك الكريم وأكتبه في ميزان حسناتي
أهدي ثمرة عملي المتواضع .

إلى التي حملتني كرها ووضعتني كرها و أنارت دربي بدعواتها إلى من تخطيت بها حواجز
أوهامي وبدعواتها عبرت أبحر الأسى والضياع و أفاضت علي من حبها بلسما شق لي درب
السلام في جنح الظلام، إلى من شيدت لي طريق النجاح وكانت العون والسند الأم والأب
و أبعدت عن قاموسي كلمة يأس إلى أغلى ما في الوجود "أمي الغالية حفظها الله"
وإلى روح أبي الغالية رحمه الله عليه.

إلى الذي احتمل طلباتي شقيق عمري و أقرب صديق لي وكان أعز وأحن أخ " نور الدين " إلى
كل العائلة الكريمة التي ساندتني و الكتكوتة آية

جامعة محمد خيضر بسكرة

إلى كل من كان لهم أثر على حياتي، إلى كل من أحبهم قلبي ونسبهم قلبي.

مفيدة

إهداء

قال رسول الله صل الله عليه وسلم «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

الحمد لله كثيرا طيبا مباركا من السماوات والأرض على ما أكرمني به من إتمام هذا البحث وأرجو أن ينال رضاكم.

إلى سيد الثقلين حبيبي وقرّة عيني منارة العلم الإمام المصطفى

إلى الأمير الذي علم المتقيين إلى سيد الخلق محمد صل الله عليه وسلم

إلى من علمتني أن الحب ليس له عمرو وأن العطاء ليس له حدود، الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة .

إلى من علمتني أبجدية الوجود إلى من جوع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى روح أبي الزكية الطاهرة.

إلى من حمهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي الغاليات.

أخيرا أنهيت الحكاية رفعت قبعتي مودعة للسنين التي مضت.

سهام

شكر و عرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا وحبينا، محمد صل الله عليه وسلم على آله وصحبه
إلى يوم الدين أما بعد:

وأخيرا وليس آخرا، تم هذا العمل المتواضع بتوفيق من الله عز وجل، ثم بفضل الأستاذ
المشرف المحترم عباس كحول لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة وأشكره على سعة صدره
وعلى نصائحه وتوجيهاته وحرصا منه على أن يكون هذا العمل في صورة كاملة أسأل الله أن
يجزيه عني كل خير.

هنيئا لك هذا الدور وهذه الرسالة السامية يا صانع الأجيال بوركت جهودك وبورك عطاؤك
المثمر ونسأل الله أن يجعلك نبراسا لكل طالب علم إلى أستاذنا المشرف كحول عباس.

الشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل، كما
نشكر كل أستاذ أفادنا بعلمه طوال المراحل الدراسية وكل من مد لنا يد العون من قريب أو
بعيد.

مقدمة

رغم مأساة مقاومة الزعاطشة التي انتهت بإبادة الواحة بأكملها وإعدام قادتها وشيوخها إلا أن أغلب الكتابات التي تناولت هذه المقاومة هي كتابات الضباط الفرنسيين الذين دونوها بإيديولوجيتهم الاستعمارية، ورغم أهمية هذه المصادر في تدوين تاريخ مقاومة الزعاطشة، فإنّ الأدب الشعبي ساهم بقسط وافر في حفظ ذاكرة هذه المقاومة، وهو ما سوف نقف عليه من خلال فتح مجال البحث في موضوع مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي.

الإشكالية

إنّ هذا البحث يتناول تاريخ مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي الذي ما زال مج الال خصبا عند الدارسين وعليه نطرح الإشكال : كيف ساهم الأدب الشعبي في تدوين مقاومة الزعاطشة 1849م؟

الأسئلة الفرعية

- كيف ساهم الأدب الشعبي في توثيق مقاومة الزعاطشة؟
- ماهي صورة مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي؟
- من هم أبرز شعراء الأدب الشعبي الذين كتبوا عن مقاومة الزعاطشة؟
- ما هي ردود الفعل الاستعمارية تجاه شعراء مقاومة الزعاطشة؟

أسباب اختيار الموضوع

ومن الأسباب اختيارنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية

أ-أسباب ذاتية

- رغبتنا في البحث في تاريخ منطقة الزيبان ومحاولة إمكانية الوصول إلى الوثائق والمصادر والمراجع المتوفرة.
- الرغبة في اكتساب كم معرفي وعلمي حول دور الأدب الشعبي في تأريخ لمقاومة الزعاطشة.
- الرغبة في تقديم معلومات مهمة وقيمة حول موضوع الدراسة.

ب-أسباب موضوعية

- البحث في إشكالية تعدد مصادر الكتّابين والشعراء وخاصة صورة مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي لأنّ أغلب الكتابات الفرنسية قام بها الضباط الفرنسيين.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله لمقاومة الزعاطشة من زاوية الأدب الشعبي بدل الاعتماد على المصادر والمراجع والوثائق التاريخية المعهودة في الدراسات التاريخية.

أهداف البحث

نسعى من خلال هذا البحث أن نحقق عدة أهداف نذكر منها:

- التعرف على الأحداث التي شهدتها الزعاطشة ومحاولة الأدب الشعبي إبراز ذلك.
- التعرف على دور الأدب الشعبي من خلال الشعر وغيره في تحصيل نتائج مقاومة الزعاطشة.
- التعرف على أهم شعراء العصر وأشعارهم التي دونوها حول تمجيد مقاومة الزعاطشة ورجالها.

منهج البحث

اعتمدنا على المنهج التاريخي في دراسة ظاهرة مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي بتوظيف آليات هذا المنهج من تحليل ووصف، للوقوف على مساهمة الأدب الشعبي في تدوين مقاومة الزعاطشة .

صعوبات البحث

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع لأن معظم الكتابات الفرنسية يصعب الوصول إليها.
- الموضوع يتطلب مجالا أوسع للوصول إلى مادة علمية كافية.

- الموضوع يتطلب شواهد حية والوصول إليها يتطلب الذهاب إلى عين المكان المتواجد فيه الشاهد ونحن كطالبات لا يتسنى لنا ذلك.

الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع في عنوانه قليلة ومحدودة جدا منها :

1 - N .29 LA REVUE AFRICANE. Volume.1885

إضافة إلى مراجع ومقالات أخرى تناولت ظاهرة المقاومة والثورة في الأدب الشعبي

بشكل عام :

1 -المقال بعنوان المقاومة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر ثورة الزعاطشة

نموذجاً ، لصاحبه : نصر الدين براشيش .

2 -عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 - 1962 م)

3 جلول يلس ، أمقران الحفناوي ، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون.

خطة البحث

قمنا بتقسيم العمل إلى فصلين بالإضافة إلى فصل تمهيدي وخاتمة، وقد تناولنا في

الفصل التمهيدي لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل انتفاضة الزعاطشة، فقمنا بذكر

الإطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزيبان، كما تحدثنا عن الإحتلال الفرنسي للزيبان

بالإضافة إلى الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبيل الانتفاضة.

أما الفصل الأول كان بعنوان انتفاضة الزعاطشة 1849م فتطرقنا فيه إلى إعطاء لمحة

حول المقاومات الشعبية بمنطقة الزيبان قبيل 1849م، وبدأنا بذكر أهم المقاومات التي

وقعت في هذه الفترة مثل مقاومة القنطرة وبسكرة، مشونش، سيدي عقبة 1844م، إضافة

إلى مقاومة الشريف بلقاسم 1846م وأولاد جلال 1847م وكذلك معركة وادي براز

17 سبتمبر 1849م بسريانة.

ثم درسنا انتفاضة الزعاطشة سنة 1849م وبدأنا الحديث عن أسباب هذه الانتفاضة مع التركيز على الأسباب السياسية، بهدف تكذيب الإدعاءات الفرنسية أن أسبابها اقتصادية، ثم تطرقنا إلى مراحل وحيثيات الانتفاضة التي مرت بها بدءاً بمرحلة التفوق ووصولاً إلى مرحلة التراجع وفي الأخير ركزنا على أهم النتائج.

أما الفصل الثاني فقد تحدثنا فيه عن صورة انتفاضة الزعاطشة في الأدب الشعبي وإعطاء لمحة عامة حول الانتفاضات الشعبية بالتركيز على الأدب الشعبي بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وذلك بذكر بعض النماذج التي تعكس صورة الانتفاضة في الأدب الشعبي من خلال الشعراء الذين اهتموا بهذا الأدب وأعطوا له مكانة كبيرة، كـ الشاعر عبد القادر الوهراني، ربيعة بولقدام، الشاعر محمد بلخير، سيدي لخضر بن خلوف.

كما درسنا الأدب الشعبي بالزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وفي الأخير تطرقنا إلى أهم شعراء مقاومة الزعاطشة والذين تغنوا بها الشاعر أحمد الليشاني والفلياشي، ثم تناولنا كعنصر استتاجي رد فعل السلطات الاستعمارية حول شعراء المقاومة.

مدخل تمهيدي: لمحة عامة حول منطقة

الزيبان قبيل انتفاضة الزعاطشة

1. الإطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزيبان.

2. الإحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان.

3. الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبيل

الانتفاضة.

1. الإطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزيبان

1.1 الإطار التاريخي

تعاقبت على منطقة الزيبان عديد القبائل والأعراف منها الأمازيغ وهم السكان الأصليون الذين بدورهم ينقسمون إلى عدة قبائل منها (زناتة¹، سدراتة، مغرارة...)، كما شهدت هذه المنطقة أشهر معارك الفاتحين المسلمين بقيادة عقبة بن نافع² أبو مهاجر دينار³ و الصحابة والتابعين، كما استقبلت هجرات عربية أخرى لاحقاً منها الهجرة الهلالية (بنو هلال)، تأسست بها عدة إمارات منها: قبائل بني رياح، قبيلة رحمان، وأولاً سعيد⁴ وكانت عرضة لنفوذ وتجاذب القوى المحيطة بالمنطقة من قبل الحفصيين والمرينيين، وبعد أن أقيمت بها الحامية التركية 1541م، بالتعاون مع مشيخة العرب، في الزاب والصحراء الشرقية وذلك قبل خضوعها للاحتلال الفرنسي بعد حملة الدوق دومال على بسكرة 1844م، الذي ترك انعكاسات على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أدى ذلك إلى ردود فعل تمثلت في المقاومة الشعبية على غرار مقاومة الزعاطشة التي خلدها الكتابات التاريخية وحتى الأدب الشعبي.

1.2 الإطار الجغرافي

أ-الموقع الجغرافي والإداري:

¹- زناتة : قبيلة من قبائل المغرب العربي ، كانت لديها عداوة مع قبيلة مغرارة ويرفن وبني مرين ، ينظر : محمد عبد الله المعموري ، أحمد جاسم محيّد ، قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية ، العدد 23 ، جامعة بابل ، تشرين الأول ، 2015م ، ص ص 317- 318 .

²- عقبة بن نافع: هو من بني فهر ، بطن من بطون قريش ، حارب الكفار ، دخل إفريقية فاتحاً عدة بلدان ، أسس مدينة القيروان ، توفي سنة 63هـ ، ينظر : الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في السيادة ، دار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2004م ، ط4 ، ص 86 .

³- أبو مهاجر دينار : مولي إفريقية سنة 55 ، حارب الروم والبربر ، أسلم على يد كسيلة ، ينظر : الطاهر أحمد الزاوي ، المرجع نفسه ، 88 .

⁴أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري ، عبد الحليم عويس ، بنو هلال أصحاب التفرقة في التاريخ والأدب ، دار العلوم ، الرياض ، سنة 1981م ، ص 17 .

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

تعد منطقة الزيبان حلقة وصل بين التل والصحراء، لذلك تعرف بـ «بوابة الصحراء»، وتعتبر جبال الأوراس بقممها الشامخة التي ترتفع في جنوب قسنطينة أكثر المناطق الجزائرية ارتفاعاً، وراها تبدأ الصحراء الجزائرية الشرقية التي يمكن الوصول إليها انطلاقاً من باتنة حتى تصل إلى القنطرة التي تعتبر حلقة وصل بين التل الخصيب وجوّه المعتدل، ورمال الصحراء التي لا نهاية لها والتي لا يلقى السائح في أرضها سوى غابات النخيل، وفي مضيق القنطرة نهر صغير يجري في معظم فصول السنة، إذ تعتبر منطقة بسكرة من أجمل الواحات الجزائرية حيث¹ تقع تحت سلطة القائد الصغير بن علي بلقيدوم بن قانة².³ والذي عينه الحاج أحمد باي على رأس المشيخة في 1821م، مما فتح مجال الصراع السياسي بالمنطقة حول مشيخة العرب بالإضافة إلى هذا فإن الزيبان قد قسّم واحة بسكرة إلى الزاب الظهراني والزاب القبلي والشرقي بقيادة السي مقران هذا القائد الأهلي المنحدر من أسرة مرابطة تلقى قيادة الحضنة وأولاد دراج وأولاد زيان وبني سويك وبني فرح وأولاد سحنون بالإضافة إلى البدو والآخرين، كما أنهم يوضعون مباشرة تحت سلطة شيخ العرب وعرب الشراقة وعرب الغرابية وأولاد سيدي صالح⁴

أما من الناحية الإدارية فنجد منطقة بسكرة يحدها من الشمال الشرقي باتنة ومن الشرق ولاية خنشلة ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة ومن الجنوب ولاية الوادي، وتقع ولاية بسكرة في شرق البلاد وتحديداً بجنوب جبال الأوراس، وتمثل جزءاً من المنطقة الجنوبية كما رسمها

¹ مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954-1962م)، بسكرة، الجزائر، شركة الزيبان للفنون المطبعية، 2005، ص12.

² أسرة قانة: تنحدر من السلالة الشريفة، الشريف الحاج بن قانة بن علي بن سليمان بن عبد العزيز بن خالد بن يونس بن إبراهيم بن منصور، المكنى قانة بن محمد بن عبد الله المالك بن العابدين الحبيب بن أحمد بن عيسى بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن فاطمة أصل تسميتهم تعود إلى الفتح الإسلامي: ينظر: شهرزاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م/2009، ص17.

³ فوزي مصمودي، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، ع52، بسكرة، 2003م، ص49.

⁴ فوزي مصمودي، المرجع نفسه، ص49.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

المخطط الوطني للتهيئة الإقليمية، وتقدر مساحتها الإجمالية 2167120 كلم² ويبلغ عدد سكانها 603.799 نسمة فيما يعادل كثافة سكانية قدرها 28 ساكن في الكيلومتر المربع الواحد، وتضم 12 دائرة و33 بلدية وتقع بسكرة فلكيا بين 05° و 06° شرقا و 34° شمالا¹.

ب- أصل تسمية بسكرة

يعود أصل تسمية كلمة بسكرة إلى الاسم الروماني القديم للمدينة وهو فيسرا وبعض الباحثين يرون ضرورة ربط التسمية بإسم منبع الماء المعدني القديم للمدينة "أديسنام" وهناك من يرى أن التسمية عربية وقع فيها دمج لاسم قرنتين قديمتين للمنطقة هما "بسة" و"كرة"، وهناك من يرى بأنها قريبة من السكر نظرا لجودة وحلاوة تمرورها ، ومهما يكن من خلاف في أصل التسمية فإن الشيء المؤكد هو عراققة هذه المدينة وقدم جذورها في التاريخ².

وحول تسمية هذه المدينة حاول الجغرافي والمؤرخ شارل "تيسو" أن يجد تقارب بين تسمية فيسرا وبيسنام الذي يبعد عن المدينة العربية الإسلامية بحوالي 06 كلم، وعن منبع حمام الصالحين وهو ما يعرف بمدينة بسكرة حاليا، كما يرتبط تاريخ المدينة مع تاريخ مناطق الجنوب والجنوب الكبير بحيث أرجعت دراسته تاريخ المنطقة إلى حوالي 7000 سنة ق.م وقسمت تطورها إلى أربعة أقسام أساسية بحيث ميزة كل مرحلة بحيوان كان يعيش في ذلك الوقت وعلى تلك الرسوم التي وجدت على الصخور والحجارة، حيث يرى الباحث جوزيل أن اسم بسكرة قد أخذ من اسم فسيرا التي كانت توجد على أسقفية تابعة للكنيسة المسيحية في نوميديا، وهناك من يرى أنها كانت تضم بين أسوارها أسقفية كاثوليكية. بالإضافة إلى المؤرخ الإغريقي بلين، يرى بأن فيسرا تعود إلى حكم الإمبراطور أغسطس على يد قائده كورينلوس ما بين سنتي 19 و20 ق.م.

2. الإحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان

¹ مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، المرجع السابق، ص 12، ينظر: إلى الملحق رقم 1.
² عبد الحليم صيد، شمس بسكرة تسطع على الثقافة الجزائرية، بسكرة، الجزائر، مديرية الثقافة على بن زيد للفنون المطبعية، ص07.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

كان الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان من طرف الدوق دومال¹ وذلك سنة 1844م والذي بدأ في تنفيذ مشروع التوسع الاستعماري في الزيبان والأوراس والحصنة والأطلس الصحراوي وكامل الجنوب الصحراوي، إضافة إلى المحطات التوسعية التي كان لها أبعاد مختلفة، فتدخلت فيها الإجراءات والقرارات الغدارية والإستعمارية لفرض الهيمنة على المنطقتين منها إصدار قرار 23 ماي 1844م عين بموجبه الرائد توماس على بسكرة وإعلان بوعزيز بن قانة.² شيخا للعرب والذي لقب نفسه بالخليفة على الصحراء وتمتد سلطته على إحدى عشر قبيلة وهي :-

- **واحة بسكرة:** تحت سلطة محمد الصغير بن علي لقيدوم بن قانة وتقسيم إلى ست أحياء .

-**الزباب الظهرراوي:** بوشقرون، فرفار، البرج، ليشانة، الزعاطشة، طولقة.

-**الزباب القبلي:** أورلال، لبوة، مخادمة، بن طيوس، مليلي، الزاوية، مناهلة، بيقو، أوماش.

-**البدو والآخرين:** رحل الجنوب، عرب الشراقة، عرب الغرابية، أولاد سيدي صالح.

¹- الدوق دومال: Duc d'Aumal (هنرين أوجين، فيليب، لويس دوأورليان) ولد 16 جانفي 1822 بباريس، الابن الرابع للهالك لويس فيليب، تخرج من مدرسة فنسان في سلاح رماة، تقلد رتبة نقيب 1839م، شارك إلى جانب أخيه الدوق أورليان في معركة العفرون 1840 ومعركة وادي الزنوج تقلد على إثرها رتبة مقدم، ثم عاد إلى الجزائر 1842م، تولى القيادة العسكرية بالمدينة حتى 1834م، استولى على زمالة الأمير 16 ماي 1843م شارك في الحملة الورشنيين، عين حاكما عاما علىالجزائر في 21 ديسمبر 1847م حتى 3مارس1848م، أطلق اسمه على سور الغزلان، يُنظر:

-Faucon, Narcisse :Le livre d'or de l'Algérie, challamel, éditeur paris 1899, P , 22/23 .

²- بوعزيز بن قانة: وهي عائلة نافذة في الزيبان، تولى منصب شيخ العرب في 1826 نظرا لقربته من الحاج أحمد باي، إلتحق بالفرنسيين في ديسمبر 1838م، منح منصب شيخ العرب بمقتضى مرسوم أصدره المارشال فالي 1839م، كان على رأس مستقبلي الدوق دوأورليان لما نزل إلى مدينة ستورة 8أكتوبر 1839، شن حربا على خليفة الأمير عبد القادر بن عزوز وتغلب عليهم في معركة وادي سليو، ساعد الفرنسيين من احتلال الزيبان وأعطى لهم يد العون في الأوراس، توفي في 9أب 1861م بقسنطينة وهو آخر من شغل منصب شيخ العرب في المنطقة، يُنظر:

mMartheARTHEet edmondETEMONDgouvion.GOUVIONKIABAAYANEkitabAayaneal-EL-MARHARIBA-TERVITOIRES : marhariba-tervitoiros :de sudimprimerie
origenialgerDUSUDIMPRIMERIEORIENTALALGER 1920 P04 .

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

-قيادة سي مقران: أولاد سيدي مقران، أولاد سيدي محمد بلحاج، الحضنة، أولاد دراج، أولاد زيان، بني سويك، بني فرح، أولاد سحنون، القنطرة، البرانيس، الصحاري، الدروع، سيدي خليل.

-قيادة الزاب الشرقي: قسم بين الفرعين المتنافسين من أولاد صولة وهما اليو عبد الله وابن شنوف.

حيث بادر الاحتلال الفرنسي في مدينة بسكرة بداية بفرض إرادته على المنطقة باتخاذ إجراءات قمعية، تقام بحجز أملاك المجاهدين ومعاقبة المقاومين المحجوزين وإلقاء القبض على المشاغبيين وحبسهم وتحويلهم إلى سجن قسنطينة¹، ثم الهجوم على بلدة مشونش وقبائل بني أحمد بالواد الأبيض باستعمال أعتى العتاد الحربي في ضرب السكان والدور والواحات في 1844م عقابا لها احتضان المقاومة بزعامة محمد الصغير وإبراهيم بن الصادق بن الحاج وغيرهم. وتم معاقبة أولاد السلطان جراء غارتهم على مراكز باتنة وحمالة أحمد باي، تركت بسكرة تحت سلطة توماس، فقام الرسم الضريبي بـ 150000 فرنك وشنها بالغاارة على الزاب الشرقي على أولاد صولة والخنقة.

وفي 25 أبريل 1844 تعرض أولاد سلطان إلى هجوم فرنسي قوي، وتعرضت المنطقة للقمع وأحمد باي للملاحقة، ولكن بعدما تمكن محمد الصغير من إفتكاك بسكرة من جديد بخطة ناجحة ومقاومة باسلة² عاد الدوق دومان إلى بسكرة بقوة عسكرية بعدما أخلاها محمد الصغير خوفا على الأهالي، إلا أن القوات الاستعمارية قد مارست الاغتصاب والنهب وهتك الحرمات والقتل وحجز الأملاك والقمع الواسع واستبد ابن قانة وتسلط على الأهالي وفرض على بسكرة شتى أنواع الظلم، ومن الموبيقات المرتكبة ببسكرة إقامة العساكر في بيوت وتخريب الجامع الأعظم، وربط الخيول في المساجد وشرب الخمر، إلى جانب سياسة فرق

¹ إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ط2، ص64.

² عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي وأحمر خدو، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع25، ج2، ديسمبر 2017م، ص633.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

تسد بين القيادات والزوايا والأعراش كما حدث بين أسرة بن قانة وبوعكاز¹ على مشيخة العرب وبين أحمد باي والأمير على النفوذ بالمنطقة...الخ.

بالإضافة إلى العمليات العسكرية على الجنوب والجنوب الشرقي، منها حملة روندون بين أبريل 1844 و1845 على تبسة وسوق أهراس مروراً بالمنطقة وحملة دومال² على الأوراس وأحمر خدو 1844 وأخرى تحت قيادة هيريبيون في جويلية 1846، وحملة كونروبار في ماي وجوان 1848 وحملة سانت أرنو في ماي وجوان 1848 م، ثم بين أبريل وماي وجوان 1850 م، إلى الأوراس وباتنة وبسكرة والنامشة وتبسة³.

أما بالنسبة إلى الزاب الشرقي فتعرض للعديد من العمليات العسكرية الاستطلاعية من جهة بسط النفوذ والهيمنة لقمع الأهالي وقتل روح المقاومة من جهة أخرى، على غرار عمليات سانت جرمان saint germain، وسانت أرنو saint Arnaut، والضابط توماس Thomas وهيريبيون Herbillon والجنرال ليفسور Levasseur بأحمر خدو والحنقة التي تعرضت إلى قصف مدفعي 1846م.

كما تكرر ذلك في أولاد جلال عام 1847م، مما أدى إلى سقوط العشرات من الشهداء بأمر من الجنرال هيريبيون Herbillon من أجل فرض الهيمنة والقتل والقمع والانتقام من المقاومين وترويع الأهالي وانتهاج سياسة فرق تسد، بينما كانت المقاومة مقسمة⁴ وبالمقابل تحصلت بعض العائلات والشخصيات الدينية العريقة على الإعتماد لبسط نفوذهم بالمنطقة

¹ أسرة بو عكاز : تتحدر جذورها من بني هلال وهي أسرة عريقة في المنطقة، تميزت بالشرف والشجاعة، أشهر زعماءها فرحلت بن السعيد، وتضم أولاد صاولة والداودة، ينظر : صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844م-1971م)، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006م، ص295.

² حمد الطاهر عزوي: مقاومة الأوراس خلال الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر الفترة (1837م-1879م)، مجلة التراث، دار الشهاب، باتنة، ع1، 1986، ص44.

³ أحمد عميرايوي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999م، ص96.

⁴ إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1938، دار الهومة، الجزائر، 2005، ص56.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

على غرار محمد الطيب بن سيدي ناجي بالخنفة، إضافة إلى قيادة الزاب الشرقي المرتبطة بابن قانة والإدارة الفرنسية من أولاد صولة بفرعيها: البو عبد الله ، وابن شنوف¹.

3. الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبيل انتفاضة الزعاطشة

3. 1 الوضع السياسي: بالنظر لأهمية موقع بسكرة وأهداف الاحتلال الفرنسي في

التوسع في الجنوب الصحراوي ، واستولت عليها ودخلتها يوم 04 مارس 1844

رغم المفاوضات الشعبية المتتالية بمنطقة الزيبان طيلة القرن 19 ومطلع القرن 20.

كما شهدت المنطقة في هذه الفترة من الحكم صراعات عائلية حول المشيخة (بن قانة

وأولاد بو عكاز)، وذلك بسبب السياسة العثمانية التي اعتمدت على تقريب أسرة على أسرة

أخرى، والتي لعبت دورا فاعلا في تغذية هذه الصراعات، كرد فعل لهذه السياسة عملت

الأسرة على التحالف فيما بينها، من أجل تجنب الخطر الذي أصبح يترصدها، ويعتبر

التحالف الذي وقع بين ابن شنوف وأولاد بو عكاز نموذجا لنظام الحماية من جهة والأخذ

بالتأثر من جهة أخرى².

حيث أن السياسة التي انتهجها الحاج أحمد باي³ في المنطقة تجاه بعض العائلات

(أولاد مقران في مدجانة وابن قانة في الزاب)، كان لها الدور البارز في هذه الصراعات

والنزاعات حيث قام الحاج أحمد باي سنة 1830 بإسناد منصب شيخ العرب بإقليم الصحراء

لبو عزيز بن قانة، وهذا ما اعتبرته عائلة بو عكاز إهانة في حقها كونها تزعمت المنطقة

ولمدة طويلة، وهذا ما حمل زعيم أولاد بو عكاز على الرفض القاطع لقرارات الباي والإصرار

¹ عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية(1837-1939م)، ج1، تر: حاج مسعود، دار الهومة، الجزائر، 2005، ص134.

² شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص16.

³ الحاج أحمد باي: هو حفيد الباي القليبي، من أصل كرغلي، ولد سنة 1784، بدأ بالبروز كرجل كفاء سنة 1809، ووصل إلى رتبة قائدالعواسي سنة 1818، ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي،(1826-1850)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص19.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

على أحييته في المشيخة، فتحوّلت هذه الرغبة في القيادة إلى صراعات دموية بين العائلتين¹.

ففي سنة 1831 رأى الحاج أحمد باي ضرورة تأديب فرحات بن السعيد² نتيجة عصيانه، فاحتّمى هذا الأخير في واحة الزعاطشة التي كانت تحت قيادة بوزيان بطل ثورة 1849، وقد رفض أتباع فرحات بن السعيد (أهل بن علي والغمرة) تسليمه، هذا ما اضطر بن قانة إلى ضرب الحصار على الواحة، ولكن قواته فشلت في تحقيق النصر مما جعله يفقد خلال هذا الحصار وما تبعه من مناوشات يقارب 400 رجل.

وتعتبر سنة 1837 هي بداية المقاومة منطقة الزاب، فبعد توقيع الأمير عبد القادر على معاهدة التافنة شهر ماي من نفس السنة من المستعمر الفرنسي، توجهت أنظار هذا الأخير نحو إقليم الشرق، الذي كان تحت سلطة الحاج أحمد باي، فعمل على توسيع نفوذه في ثلاث ولايات.

أ - ولاية برج حمزة: بزعامة أحمد الطيب بن سالم، ضم جبال جرجرة، وحوض الصومام، وجزء وجبال البنيان الغربية.

ب-ولاية مجانة: بزعامة عبد السلام المقراني، ثم أحمد بن عمر العيساوي والخروبي، تضم الجزء الشرقي من جبال بنيان وسهول سطيف ومسيلة وجبال الحضنة.

¹ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص17.

² فرحات بن السعيد: ابن أحمد بن السخري، ولد سنة 1786 نشأ في بيت عمه مع أولاده في سيدي خالد، أمه جرجة بنت الشيخ الحداد، تولى مشيخة العرب سنة 1821، ويعتبر آخر من تولى هذا المنصب من الذواودة و الرياحين، قتل بفعل الخديعة 1842م، ينظر: فريدة قاسي: «الدولة في فكر الأمير عبد القادر "1832-1847"»، رسالة ماجستير في التاريخ.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

ج - ولاية الزيبان والصحراء الشرقية: تزعمها فرحات بن السعيد، والحسين بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بلحاج، تضم الواحات الصحراوية الشرقية وعلى رأسها مدينة بسكرة¹.

كما تمكنت القوات الفرنسية في هذه السنة من إجهاض ثورة أحمد باي وإسقاط معاقل الدولة الجزائرية، بعد الحملة الثانية على مدينة قسنطينة يومي 13-14 أكتوبر 1837، بالرغم من بسالة الأهالي في مواجهة القوات الغازية حيث أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمامها، وإنما واجهوها بكل قوة وبسالة، واشتبكوا معها في قتال دموي عنيف، لم يقدر له النجاح بسبب اختلال ميزان القوى بين الجانبين، وتخاذل باقي مناطق الجزائر في الدفاع عن هذا المعقل نظرا لضيق الأفق وعدم الخبرة السياسية، بل الأكثر من ذلك توقيع معاهدة التافنة بين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية، والتي كان الغرض منها تجنيد منطقة الغرب، خاصة بعد هزيمة فرنسا سنة 1836².

2.3 الوضع الإقتصادي والاجتماعي

كان النشاط الاقتصادي في منطقة الزيبان يعتمد على ما تجنيه واحات النخيل وما تدره المواشي من مداخل، أدت هذه الوضعية إلى وجود هجرة نحو المدن الشمالية طلبا للرزق³ حيث فرض الاحتلال سياسة التوجيه الزراعي وإقامة الاقطاعات على حساب السكان، حيث تشرذم السكان وتشتت القبائل، بحيث كان تجمع السكان عبر واحات بسكرة ولوطاية والقنطرة بالشمال وواحات طولقة وأولاد جلال والدوسن وسيدي خالد بالغرب، وواحات سيدي عقبة وفلياش ومشونش وشممة وقرطة وسريانة والحراية والحوش والسعدة وسيدي مصمودي ونفيضة وليشانة وطوماس وخنقة سيدي ناجي بالشرق أو ما يعرف بالزاب الشرقي وحوافه

¹ يحي بو عزيز، « مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن 19»، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ع79، 1980م، ص89.

² شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص19.

³ الهادي درواز، من تراب الولاية السادسة، بوزريعة، الجزائر، دار الهومة، 2009، ص136.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

بأحمر خدو والأوراس، إضافة إلى واحات السوافة (وادي سوف، والرواعة، وادي ريغ) بالجنوب¹.

أما بالنسبة للتركيبة البشرية فهي تجمع بين المقيمين المتمركزين بالمدن و الواحات والرحل المنتشرين في الأرياف، كما تعرف قبائلهم من خلال لون خيامهم المنصوبة في مضاربها فإن كانت الحمراء فكانها أولاد نايل، وإذا كانت سوداء فهم القبائل والعشائر الأخرى.

وكانت منطقة الزيبان مثل باقي المناطق الأخرى، كانت لا تتمتع بأقل حق من الحقوق المدنية والحياة الديمقراطية بل كانت في شبه عزلة اقتصادية واجتماعية، وكانت حالة سكان الريف بالزيبان كما يصفها احمد توفيق المدني في مذكراته قائلا ما يلي: "إننا هنا أموات، نسانا الجميع ولا يشعر بوجودنا أحد، وليس لنا عمل ولا نشاط، ونأكل ما يتسنى من القوت ومنتظر الموت"، وهذا يؤكد على الحالة الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كانت تعيشها المنطقة².

3.3 الوضع الثقافي

لقد انعكست الأوضاع الاقتصادية والسياسية للجزائريين تحت الاستعمار الفرنسي على الحياة الثقافية والعلمية التعليم في الجزائر فقد عانى كثيرا في منطقة الزيبان خاصة بعد تطبيق السياسة التعليمية الفرنسية على الجزائريين والتي كان مفادها محاربة اللغة العربية والقيم الأخلاقية والثقافية على الجزائريين والتي كان مفادها محاربة اللغة العربية والقيم الأخلاقية والثقافة العربية أيضا واعتبار اللغة العربية أجنبية وذلك بمحاربة تاريخ وجغرافية الجزائر.

Mis en forme : Police de script complexe :12 pt

Mis en forme : Droite, De droite à gauche

Mis en forme : Police de script complexe :12 pt

¹ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي لصحراء الجزائر، المرجع السابق، صص 27- 23. ² فرحات عباس، ليل الاستعمار حرب الجزائر وثورتها، الجزائر، وزارة الثقافة، 2009، ص ص 25-26.

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

وهذا كله من أجل طمس الشخصية الجزائرية، بحيث لا تمنح رخصة التعليم من طرف الولي للجزائريين، ووضع المكتب العربي للمراقبة¹.

أ - التعليم في المساجد

تميز هذا النوع من التعليم بالضعف والتدهور وقلة الفاعلية، ورغم أن التلاميذ يدرسون مبادئ الفقه والأدب والتفسير والحساب لكنهم لم يكونوا يستفيدون من ذلك كثيرا، خاصة أن هذا التعليم يجمع بين الطفل الصغير و الشيخ الكبير، وهو الأمر الذي تعكسه التقارير والتي كانت صريحة عندما قالت بأنها سمحت بهذا التعليم لغاية واحدة وهي تحضير مرشحين للمدارس الشرعية إلا أن هذا النوع من التعليم كان منتشرًا بكثرة في المنطقة.

ب - التعليم في الزوايا

لعبت الزوايا دورًا مميزًا سواء كان علميًا أو اجتماعيًا أو ثقافيًا أو حتى دينيًا رغم السياسة التعليمية التي طبقتها فرنسا من أجل القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية بحيث قامت بهدم مدارس القرآن والزوايا بالمدن والأرياف، وإخضاعها للمراقبة ودمج تعليمها ضمن المدارس الإبتدائية وذلك من خلال فرض قوانين أصدرتها فرنسا حول السياسة التعليمية الواجب إتباعها من طرف الأهالي².

ج - الأدب الشعبي الجزائري

بقي الأدب الشعبي معزولًا عن الحياة الفكرية الجزائرية ولم يحض باهتمام من قبل الدارسين الجزائريين، لأسباب متعددة ترتبط بوضع الثقافة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي، بالرغم أن المثقف الجزائري كان معترفًا باللغة العربية، لكن وضعها كان وصفًا شاذًا يلزم على المثقفين الجزائريين بأن يكافحوا من أجل استرجاع دور ومكانة اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية للشعب الجزائري، لذلك لم يحض الأدب الشعبي بفرصة الاهتمام من قبل الكتاب

¹الهادي درواز ، المرجع السابق ، ص 161.

²أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص (150)، (151، 169).

مدخل تمهيدي.....لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل مقاومة الزعاطشة

الجزائريين، على عكس الكتاب الفرنسيين فقد اهتموا بدراسة الأدب الشعبي الجزائري بهدف دعم فكرة الاحتلال ومحاربة اللغة العربية كما استخدموا جميع الوسائل ليثبتوا عجزها وضعفها في أن تكون لغة علم وحضارة¹

¹ التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص ص 61-63.

الفصل الأول: انتفاضة الزعاطشة 1849م

أولاً: لمحة عن الانتفاضات الشعبية بالزيبان قبيل

1849م.

1. مقاومة القنطرة و بسكرة و سيدي عقبة و مشونش

1844م

2. مقاومة شريف بلقاسم بالنامشة والخنقة وليانة وبلهس.

1844م

3. مقاومة أولاد جلال 1847م.

4. معركة وادي براز 1849م.

ثانياً: انتفاضة الزعاطشة 1849م.

1. ظروف وأسباب الانتفاضة

2. مراحل وحيثيات الانتفاضة.

3. نتائج الانتفاضة.

أولا: لمحة عن الإنتفاضات الشعبية بالزيبان قبيل 1849م

1. مقاومة القنطرة وبسكرة وسيدي عقبة ومشونش 1844م

قبيل احتلال بسكرة كانت المقاومة عند مضيق القنطرة، حيث تولى 600 فارس من أولاد السلطان والأخضر الحلفاوية المقاومة لإعاقة قافلة ابن قانة، فواجهوا أربع سرايا ومئتي فارس يقودهم الضابط "غويار" فقتل 15 شهيدا في 25 فيفري 1844م¹، وحتى بعد احتلال بسكرة في 04 مارس 1844م بقيادة الدوق دومال، توجه هذا الأخير إلى أولاد سلطان ليطلب من أحمد باي الاستسلام، فعين الرائد توماس على المدينة ووضع تحت إمرته فرقة عسكرية، فاستغل محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر في سيدي عقبة الوضع، وقام بالتخطيط لاقتحام بسكرة في 13/12 ماي 1844م ممن أجل استرجاعها والقضاء على الحامية العسكرية بها.

واعتمدت خطته على الخديعة والمباغثة، حيث كلف 150 رجلا من خيرة مقاتليه بالدخول إلى قصبة بسكرة، وطلب منهم الإدعاء بالفرار من قواته وإظهار العداء له، وعرض التعاون مع فرنسا، لكن الهدف الحقيقي من هذا التسلل هو فتح باب القسبة ليلا لمحمد الصغير والقوات المرافقة له، وعندما بلغ عددهم 25 رجلا أرسلوا له موعد الهجوم الذي كان في 12 ماي 1844، وكانت نتائج هذا الهجوم وخيمة على العدو حيث قتل ملازمان "بوتيفوند، كروشار" كما قتل الطبيب "أرسلان"، وقد تم استرجاع 22 مكحلة و 115 بدلة عسكرية و 400 حصان وخزنتين من البارود وأربع مدافع وكميات من القمح والشعير، ولم ينج من هذه المجزرة سوى الطاهية "ماريا موراني" اليهودية والرقيب بيليسي Pellissier، بعد أن هرب واحتمى عند الشيخ الميول شيخ طولقة، كما علم فرحات السعيد بأمر هذا الأخير وطلب من فرسانه قتلهم كما راسل الرقيب بيليسي الدوق دومال وأخبره بما حدث وطلب منه

¹ عباس كحول، الزاوية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2017/2018، ص59.

العودة إلى بسكرة وأمره بقطع نخيل الواحات المجاورة، حينها تمكن دوماً من دخول بسكرة للمرة الثانية في 18 ماي 1844م¹، أما محمد الصغير فقد تخوف من القبض عليه فأنسحب إلى الأوراس ومنها إلى تونس.

كما تعد معركة مشونش² والتي حدثت في 15 مارس 1844م، مت أهم المعارك حيث بعد اكتشاف الشيخ الصادق بن الحاج النوايا الاستعمارية، بعد خروج الدوق دوماً على رأس قوة كبيرة قاصداً واحة مشونش، حتى قام بإرسال ابنه إبراهيم لنجدة الأهالي من الخطر الفرنسي. فانطلق الشيخ إبراهيم بن الصادق بن الحاج من جبل أحمر خدو على رأس قواته متجهاً نحو مشونش، فالتقى بالشيخ محمد الصغير بن أحمد بن الحاج واجتمع المجاهدون في دار محمد أمقران (مقدم الزاوية الرحمانية لمشونش)، وقد تحولت هذه الدار إلى مركز قيادة حيث كانت تصدر منها مختلف الأوامر والتعليمات إلى الثوار المنتشرين عبر واحة مشونش³.

وفي مارس 1844م اصطدمت القوات الفرنسية التي بلغ عددها 150 فارساً بقيادة ترومبلي Tremblay بالثوار، فميت بهزيمة تكبدت من خلالها خسائر فادحة. ورداً على ذلك قرر قائد المقاطعة تجهيز حملة تكون أقوى وأعنف، حيث بلغ قوامها 1200 جندي و 400 حصان، ووصلت إلى مشارف الواحة في 12 مارس 1844، وبدأت بفرض حصار محكم عليها، ولكن الثوار تفتنوا لخطة العدو فقاموا بسد الثغرات التي يمكن أن يستغلها العدو ليتسلل منها إلى الواحة، وأمام هذه الخطة الدفاعية المحكمة لم تجد القوات الفرنسية منفذاً

¹ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 35، 36.

² مشونش: تقع في الجزء الشمالي لعاصمة الزيبان على مسافة 30 كلم، عند نهاية سلسلة من الجبال بين بسكرة وأريس، ينظر: شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 32.

³ فوزي مصمودي، « معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة » الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، العدد 03، ديسمبر، 2004، ص 136-137.

لاقتحام الواحة سوى ضرب القرية بالمدافع، إلا أن سلاحها الفعال لم ينجح لأن عزيمة الثار كانت أكبر¹ وأقوى من مدافعها.

كما وصفت معركة مشونش في بعض الكتابات الأجنبية (الفرنسية) أنها كانت مثالا لاستماتة والتآزر أباها أهلا لأوراس في الدفاع عن مواطنهم من داخل القلاع².

2. مقاومة الشريف بلقاسم بالخنقة وليانة وناماشة 1846م

مقاومة الشريف أحمد بلقاسم 1846 بالناماشة والخنقة وليانة وبادس:

أ- الشريف بلقاسم: أبو القاسم النموشي³ من نواحي جلال أو خيران قرب خنقة سيدي ناجي من عرش سي عمران.

ب- مجريات المقاومة:

قد ساهمت عمليات التوعية والتعبئة التي قام بها خليفة الأمير محمد الصغير أحمد بلحاج في ظهور مقاومة الشريف أحمد الذي أعلن الجهاد في أكتوبر 1846م على رأس ألف وخمس مئة رجل من النمامشة⁴ فهاجم ليانة⁵ وبادس والخنقة⁶ التي كانت خاضعة للقائد سي الطيب فدمر حامية ليانة وكادت تسقط بادس والخنقة لولا نجدة سانت جيرمان وبوعزيز بن قانة وقيادة المنطقة حيث دارت المعركة بينهما في 07 نوفمبر 1846م، انتهت بانسحاب

¹ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 33.

² تلمساني بن يوسف، التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيان، جامعة الجزائر، العدد 22، ص 38.

³ عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص 667.

⁴ عباس كحول، الزوايا السياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص 61.

⁵ ليانة: هناك اختلاف حول أصل التسمية فرأي يقول نسبة إلى امرأة تدعى ليونة، أما الرأي الآخر فيقول نسبة إلى أول من عمرها حيث رد على أصل من جاء بعده وأراد الاستقرار والتعمير بهذه الأرض، ينظر: شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 63.

⁶ عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص 667.

الناماشة إلى الجبال وأعيد تحصين بلدة ليانة وتزويد حاميتها بالذخيرة فعادت حوالي مئة وعشرون عائلة إليها وعزم أهالي الزريبة وليانة بدعوى عدم تقديم المساعدة لفرنسا، وعقبا للمنطقة التي أبدت المقاومة شنت حملات عسكرية تأديبية على الناماشة وواد الثنية وشعبة يعلى وفم الكنز حيث الناماشة الغرابية من أولاد رشايش الذين أرغموا على تقديم عشرون خيمة كرهائن والتزام وخضوع بالمقابل استمرت قبائل العلاونة والبرارشة وجبل ششار وأحمر خدو في المقاومة ورفضوا دفع الضريبة فأرسل الاحتلال ثلاث كتائب يقودهم الكولونيل سوني¹ Sonnet والجنرال هيربيون² Herbillon والكولونيل سومليه، أما مصير المقاوم الشريف أحمد بن بلقاسم فيكتفه الغموض في ضل التداخل بينة وبين الشريف تبسة الذي أعدم وقطع رأسه وحول إلى المتحف الأنثروبولوجي بباريس.

3. مقاومة أولاد جلال 1847م

تبعد أولاد جلال عن بسكرة المدينة بحوالي مئة كلم على الضفة الشمالية لوادي جيدي، عدد سكانها ثلاثة آلاف وستمئة ساكن، بحجم مدينة البليدة حسب ماركوتاردي كيفارا، لقد ساهمت أولاد جلال بأعراشها والأعراش المحيطة بها كالبوازيد وأولاد زكري ورحمان والسليمة في مشروع المقاومة مع وجود الزوايا المختارية والزوايا القادرية، وصلت أولاد جلال شبه مستقلة إلى غاية 1885م، وفي أعقاب إنتقال الشريف بو معزة إلى المنطقة ملاحقا من طابور المدية لجأ إلى أولاد نايل (سيدي خالد وأولاد جلال)³ فأدى وصوله إلى بث روح الجهاد في المنطقة واستعداد الزوايا المختارية للجهاد بعد مؤازرة من علي بن فرحات و بن

¹عباس كحول، الزوايا السياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص61.

²عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص 665.

³عباس كحول، الزوايا والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان،(1838-1876)، المرجع السابق، صص 62_63 .

السعيد للثورة¹ فسارعت إدارة الاحتلال بإرسال قائد بسكرة للتهدئة لكن الشريف بومعزة غادر أولاد جلال إلى واد التل حفاظا على البلدة وأما التهديد الاستعماري العسكري بقصف البلدة بأمر من هيربيون، فحاولت بعض الأطراف كالشيخ المختار والزاوية المختارية على مساندة بومعزة، فتدخل شيخ زاوية سيدي خالد وسيدي أحمد بن عزوز لتهدئة الأوضاع فسارع المتحمسون للجهاد وفرض الأمر الواقع بإعلان الجهاد، وبعد رفض المقاومون لشروط التفاوض التي عرضها هيربيون (تسليم الشيخ المختار دفع غرامة مالية مقابل العفو) شرع الاحتلال بقصف مدفعي على البلدة مركزا على مئذنة المسجد العتيق، فزادهم حماسة بالقصف دفاعا عن المقدسات الإسلامية مما اضطر هيربيون إلى الدخول إلى الواحة لفصل مقاتلي الواحة عن مقاتلي البلدة، وخوفا من إرتفاع حجم الخسائر البشرية الفرنسية أمر هيربيون باستعمال القوة العسكرية القصوى بدءا من 11 جانفي إلى فجر 12 جانفي 1847م، بحيث انجلت المقاومة على خسائر بشرية ومادية من الفرنسية (40 قتيل، 114 جريح، 24 أسير، من المقاومة 62 شهيد و 90 جريح)، أعقبها فرض اتفاقية مع ممثلي البلدة التي تضمنت: فرض عقوبة مالية على سيدي خالد لدعمها المقاومة وتسليم الجثث الفرنسية وتسليم الأسرى دون قيد ودفع غرامة خمسون ألف مقابل إخلاء سبيل الشيخ المختار شيخ الزاوية المختارية وأعطاه الأمان للأهالي².

4. مقاومة واد براز 17 سبتمبر 1849م

أ - معركة واد أبراز

¹ عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص667.

² عباس كحول، الزاوية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص63.

ترتبط تسمية واد براز بالمبارزات التي وقعت خلال العهود للفتوحات الإسلامية على مجرى الواد فسمي حسب الروايات كذلك، خاصة وأن المنطقة شهدت أعظم معارك الصحابة وعلى رأسهم عقبة بن نافع، واد براز مجرى مائي ينبع من جبال الأوراس وبالتحديد من قمم شيليا وهو أحد فروع الواد الأبيض يقع بمحاذاة سريانة التي تبعد عن بسكرة ب 20 كلم وتقع على مقربة سيدي عقبة¹.

ب-أسباب المقاومة:

بعد اندلاع ثورة الزعاطشة وفشل المستعمر في إخماد لهيبها ونجاح بوزيان في توزيع دائرة دعايته ونشر مبادئ الجهاد في مختلف القبائل التي بقيت بعيدة عن صدى الثورة، بدأ بمراسلة زعماء المناطق المجاورة طالبا منهم يد العون والمساعدة فاستجاب لندائه العديد من القادة والزعماء ومنهم: (سي عمران بن جنان قائد أولاد سلطان والشيخ بن الجودي شيخ أولاد زيان والشيخ عبد الحفيظ الخنقي)²، هذا الأخير الذي لبي النداء من خلال مراسلة الشيخ بوزيان له في إطار التنظيم والتخطيط والتنسيق للمقاومة ومواجهة الاحتلال وتحرير بسكرة وطرد المحتل ونصرة الدين وانتهت الرسالة بإعادة السلام والدعاء له بالتوفيق والنصرة له ولكل المجاهدين³ خاصة بعد الانتصار الأول للزعاطشة الذي بث روح الحماس والجهاد لتحرير المنطقة من المحتل⁴ كما قدم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي كل ما يملك من أجل نصرته أبناء وطنه فبدأ باستمالة القبائل المجاورة له: أولاد داود وأولاد عبدي وزربية الوادي والتحققت

¹عباس كحول، عبد الحفيظ الخنقي ودوره في المقاومة الوطنية بالزاب الشرقي واحمر خدو 1849م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ماجستير في التاريخ الجزائر، العدد03، سبتمبر 2012م، صص 273-274.

²شهرزاد شلبي، المرجع السابق، صص 62-63.

³عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، صص 671.

⁴عباس كحول، عبد الحفيظ الخنقي ودوره في المقاومة الوطنية بالزاب الشرقي واحمر خدو 1849، المرجع السابق، صص 275.

أعراش أولاد عبدي وبني سليمان وأهل غسيرة والخذران وليانة وسيدي عقبة وأهالي الخنقة وسيدي مصمودي¹ وأولاد جلال وسيدي خالد والعديد من القبائل بل واصل المدد من سطيف وباتنة وبوسعادة وواد سوف والجريد التونسي بهدف تنسيق توحيد الجهود قصد تحرير كل الزاب وليس فقط الزعاطشة².

ج-مجريات المعركة:

وفي يوم السبت 25 أوت 1849م خرج الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وأحمد بن الحاج وانظم إليهم الشيخ الصادق بن الحاج الذي قدم من أحمر خدو ومعه 200 شخص وقد أسندت القيادة إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وتحركت القوات صوب مدينة بسكرة³ حيث بلغ تعداد المجاهدين إلى ثلاثة آلاف ومئتي فارس بعدما كان الانطلاق ألفين إلى جانب خمس مئة فارس يقودهم الشيخ الصادق بن الحاج، أما واد سوف فتطوعت بخمسين فارسا حيث ناهز العدد خمسة آلاف مجاهد ودفع عبد الحفيظ ذخيرة أبنائه وكذلك فعل الصادق بن الحاج بإمكانيات بسيطة يعززها النصر بالمقارنة مع قوات الاحتلال الفرنسي المكونة من مئة وخمسون مشاة وسبعون قناصة إفريقية وخمسة وخمسون صبايحية ومئتين من القوم الفرسان وثلاث مئة فارس من قوات اللفييف، يقودهم القائد العسكري لبسكرة سانت جيرمان ومؤازرة بولخراس بن قانة⁴ وبعد أن استكمل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي كل الاستعدادات للبدء بالمواجهة العسكرية أعطى الأوامر للقوات بالتحرك نحو الواحة، وفي 17 سبتمبر 1849م

¹عباس كحول، الزاوية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص63.

²عباس كحول، الزاوية والسياسة بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876)، المرجع السابق، ص76.

³شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص63.

⁴عباس كحول، عبد الحفيظ الخنقي ودوره في المقاومة الوطنية بالزاب الشرقي واحمر خدو 1849م، المرجع السابق، ص275.

وصلت إلى واد ابراز على بعد 20 كلم عن بسكرة وتقع على مقربة من سيدي عقبة، حيث نفوذ القايد ابن شنوف الذي راسله عبد الحفيظ الخنقة لدعم المقاومة لكنه سارع بإبلاغ السلطات الفرنسية العسكرية¹. وعندما وصل الخبر للقائد سانت جيرمان² بدأ بتجهيز نفسه وتحرك على رأس قواته المكونة من 300 من المشاة و 200 فارس من الخونة و 70 قناصا و³ 55 صبايحي بمساعدة القايد بولخراس وبعد أحكام الحصار على المنطقة هاجمت القوات الفرنسية مع فجر 21 سبتمبر 1849م، ولم تنته إلا في الليل، ورغم تمكن المقاومة من قتل الرائد سانت جيرمان برصاصتين في الرأس، إلا أن موازين الحرب انقلبت لصالح قوات الاحتلال لفارق العدة والعتاد والعدد والتكنيك الحربي وتأثير الأسلحة الثقيلة، فانسحب المجاهدون باتجاه الجبال المجاورة⁴ وما إن وصلت الساعة السادسة حتى أمر الشيخ عبد الحفيظ قواته بالانسحاب والتراجع إلى الجبال المجاورة ريثما ينظم صفوفه ويجمع شتاته ويعاود الهجوم من جديد ليخلص بسكرة من الحصار⁵.

د- نتائج المعركة (واد براز 1847م)

لقد اختلفت المصادر التاريخية في رصد نتائج معركة واد براز بسريانة على وادي الأبيض⁶ فالمصادر الفرنسية تصر على أن معركة واد براز من أعظم انتصاراتها حيث ذكرت هذه

¹عباس كحول، الزواية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان، (1838-1876م)، المرجع السابق، ص77.

²سانت جيرمان saint germen: أول قائد بالجنوب، حكم بسكرة أربع سنوات، كان يطمح لتكوين حكومة مستقلة بالجنوب حيث أقام الحصن العسكري ببسكرة، ينظر: عباس كحول، الزواية والسياسة بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838 - 1876)، المرجع نفسه، ص77.

³شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص ص 64-75.

⁴عباس كحول، الزواية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان، (1838-1876م)، المرجع السابق، ص77.

⁵شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 65.

⁶عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص23.

المصادر أن قواتها تمكنت من قتل ما يزيد عن 100 مجاهد بالإضافة إلى استيلائها على الكثير من الخيول والخيم وحجز ما يقارب 100 بندقية أما خسائرهم فلم تزد على أربعة قتلى من بينهم القائد سانت جيرمان وأن الثوار اللذين تراوح عددهم ما بين 1500 و 1000 مجاهد قد فروا إلى الجبال ومن بين خيمة القائد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي¹ وتغطية لصحيفة لانوفال LA NOUVELLE بتاريخ 30 سبتمبر 1849م تعطي صورة على نتائج المعركة بعد "...قتل المقدم دوسان جيرمان وأربعة جنود جرحى في معركة خاضها الجيش الفرنسي يوم 21 ديسمبر 1849م بالقرب من سريانة، وهو يحاول مواجهة ما بين ألف وخمس مئة وألفين من العرب، بهدف استرجاع بسكرة، غير أن هؤلاء فروا إلى الجبال تاركين وراءهم العديد من القتلى.."² أما ابن قانة فلم يذكر شيء عن نتائج المعركة سوى إصابة العديد من الجنود الذي أدى إلى تقهقر العدو وانكشاف قائد العركة ومقتله. كما حاولت المصادر الفرنسية التضخيم من حجم الانتصار لتثبت أنها القوة التي لا تقهر، ولكن الحقيقة هي أنه لا يمكن أن تقبل هذه النتائج يعد التمعن في التجهيزات التي تم إعدادها لهذه المعركة والقوة البشرية والمدة الزمنية التي استغرقتها حوالي يوما كاملا، الأسلحة المستعملة إضافة إلى الإيمان الكبير الذي تحلى به الثوار، فمن المستبعد أن تكون نتائج معركة واد براز مقتل أربع جنود، في مقابل استشهاد حوالي 200 مجاهد هذه الاحصائيات لا يمكن أن تكون صحيحة حسب رأي محمد العربي الزبيري³ "إلا إذا كان رصاص الثوار تمرا جمعوه من غابات النخيل" وكي فتحكم على انتصار العدو في المعركة وقد قتل قائدها ونجا جنودها بدون خسائر في صفوفهم³، بينما تذكر المصادر العربية أن الخسائر الفرنسية مرتفعة منها (... المقدم سانت

¹ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 65.

² عباس كحول، الزواية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص 77.

³ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 66.

جيرمان، وشهيد برات ليار، باربوني طوماس، ديبون الكسندر، روسيني غايتانوس... ورغم الاختلاف في المصادر حول مصير عبد الحفيظ الخنقي بعد المعركة إلا أنها تذكر انه اجتمع بالصادق بن الحاج ومحمد الصغير أحمد بلحاج بمشونش في 1849م لدراسة الوضع، بينما تقارير الأرشيف الفرنسية تعتبر الشيخ عبد الحفيظ الخنقي شخصية متعاونة مع فرنسا ووفاته خسارة لفرنسا أنه طلب الأمان من السلطات الفرنسية وسارعت الإدارة الفرنسية بإرسال القايد ابن شنوف لإقناع خليفته الشيخ الصادق بن الحاج بالتعاون مع فرنسا¹.

ثانياً: إنتفاضة الزعاطشة

1. ظروف وأسباب الانتفاضة

لقد حاول المؤرخون الفرنسيون أن يرجعوا أسباب ثورة الزعاطشة إلى رفض فرنسا لطلب بوزيان² والمتمثل في تجنيده كمرتزقا في جيشها وعلى بعض الأسباب الاقتصادية كمحاولة منهم للحط من قيمة الثورة بسبب ضعف أسبابها³ ولكن الحقيقة الثورة اندلعت بوجود عدة دوافع جوهرية ساهمت في إشعال فتيل الثورة ونذكر من أهم هذه الأسباب:
-الحكم الاستبدادي من طرف القوات الفرنسية الذي تلقته واحد الزعاطشة آنذاك والقبض على بوزيان في واحتته⁴.

¹عباس كحول، الزواية والسياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838-1876م)، المرجع السابق، ص78.

²الشيخ بوزيان: أحمد بوزيان بن إسماعيل ولد عام 1799 ينحدر من أسرة مشهورة في بسكرة وهي عرش الدواودة، درس في زاوية بالجزائر وبعد سقوط العاصمة عاد إلى الزيبان، أين التقى بالأمير عبد القادر وشارك معه في عدة معارك حتى عينه الشيخ البركاني على الزاب الشرقي، ينظر:

ouatmanisetar ,L insurrection de zaachta en1849resistance et solidarite dans les zibanthese doctoratuniv – aix –marseille1 1992 p 35.

³نايلي عبد القادر، مذكرات العسكريين الفرنسيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي ومدى مساهمتها في تدوين تاريخ الجزائر "المقاومات الشعبية نموذجا"، مجلة تاريخ العلوم ، مجلد ، ع13، جامعة زيان عاشور الجلفة، جوان 2020، ص67.
⁴العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن19، دار المعرفة: الجزائر، 2006، ص199.

-إلزام القوات الفرنسية سكان واحة الزعاطشة بدفع مبالغ طائلة .
 -تشديد الحصار على واحة الزعاطشة¹.
 -رفع قيمة الضريبة المفروضة على النخيل من 15 إلى 45 سنتيم أي ضعفي ماكانت عليه
 بزيادة مئوية قدرها 300% من تدهور محصول التمور بين الحين والآخر².
 -إنتشار الروح الوطنية ورغبة الشيخ بوزيان في إحياء المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر
 بالرغم من سياسة الترهيب التي استعملتها فرنسا فكان الوازع الديني هو المحرك الأساسي
 لهذه الثورة³ بالإضافة إلى رفض الاحتلال لمنطقة الزيبان وكل القطر الجزائري وانتقال بعض
 الوحدات العسكرية من الجزائر إلى فرنسا.
 -تراجع عدد قوات الاحتلال ببسكرة إلى 800 جندي في غياب القائد سانت جيرمان واتباع
 سياسة الغطرسة الاستعمارية بالزيبان من خلال عمليات الاعتداء على الحرمات وإلغاء
 امتيازات المرابطين والاستيلاء على الأوقاف مما حرك روح الجهاد والمقاومة باستعمال
 الكرامات إلا أن العامل الأساسي هو رفض الاحتلال⁴ والإصرار على مواصلة الكفاح وذلك
 من خلال تلبية نداء الجهاد من طرف موسى بن حسين الدرقاوي لشيخ بوزيان ونصر إخوانه
 بالزعاطشة بعد أن طاف بالمنطقة يحث الناس على الجهاد فتطوع معه أكثر من مائة فارس
 أغلبهم من أولاد نايل⁵.

¹ محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص58.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص353.

³ محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص68.

⁴ عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص668.

⁵ ابن سالم المسعود، جهاد وسيرة الحاج موسى بن الحسين الدرقاوي، (1869-1796) من خلال كتاب صادر حديثاً، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية تصدر عن المركز الجامعي بغيليزان، الجزائر، العدد1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص72.

-إلزام الإدارة الفرنسية لسكان واحة الزعاطشة بدفع مبالغ مالية طائلة، كما ساهم اندلاع ثورة 1848م بفرنسا والملك الفرنسي لويس فيليب والإطاحة بنظامه وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية كل ذلك أثر على الحياة السياسية بالجزائر فقد عزل الحاكم العام للجزائر الدوق دومال ابن الملك لويس فيليب وتعويضه بالجنرال كافيناك وذلك يوم 3 مارس 1848م، ثم تم ترحيل عدة كتائب من الجيش الفرنسي من الجزائر لتشارك في الثورة الفرنسية بفرنسا نفسها وتعمل على إخماد الفتن وفي نفس الوقت انتشرت أخبار مفادها أن بريطانيا قد أعلنت الحرب على فرنسا وأنها تستعد لشن حملة عارمة على الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مما أدى إلى وصول هذه الأخبار إلى منطقة الزيبان عن طريق العمالة البسكرة بالعاصمة والذين يعودون إلى بلادهم من حين لآخر¹ مما أدى إلى اشتغال هيربيون بانتفاضة الزواغة والجنرال سال بانتفاضة بني سليمان في بجاية فرع هذا على إثارة السكان وهدفه من كل ذلك هو الانتقام إلى الفرنسيين الذين رفضوا توظيفه ضمن المخزن² حيث كان في فترة 1849م فترة مهمة لتجديد الكفاح لأن فرنسا كانت منشغلة داخليا بالفضاء على الثورات المحلية، التحركات الكثيفة في الجهة الشرقية للمغرب بأمر من السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان لتأديب مناطق بلاده الحدودية (بني سليمان زاوية مولاي الطيب الشيخ الحاج الطيب التازي) إلا أنها امتدت إلى داخل الحدود الجزائرية الغربية لأن قسما منهؤلاء الرافضين لدفع الضرائب للمخزن تسللوا إلى الجزائر وكان الجنرال مكماهون يراقب الوضع بقلق، خاصة عندما ظهرت شخصية سي الشيخ بن الطيب في وجدة الحدودية، والتي تشير المصادر أن تأثيره امتد إلى أولاد سيدي الشيخ الغرابية بالجزائر وتحولت إلى ثورة مداها إلى غابة الشرق

¹ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، مجلة دراسات تاريخية 11-12، المجلد 8، العدد 1، جامعة الجزائر، ص 88.

² رابح لونيبي، انتفاضة سكان واحة الزعاطشة عام 1849 من خلال مذكرات هيربيون، مجلة عصور التاريخ، المجلد 01، العدد 2، جامعة وهران، ص 76.

الجزائري 1849م¹ ورغم استعمال العدو لكل الوسائل الجهنمية من أجل معاقبة الثوار والمجاهدين ليكونوا عبرة للآخرين، كالإعدام والتعذيب والمصادرة والإتلاف والحرق... وحتى الترويض و التدجين وشراء الذمم، فإن شعلة الثورة لم تنطفئ بل استمرت مرفوعة يسلمها كل تائر إلى سلفه، لذلك فإن الشيخ بوزيان قد أخذ المشعل عن الأمير عبد القادر لمواصلة الكفاح في سبيل الله ثم الوطن.²

2. الإستعداد للإنتفاضة ومراحلها

أ - الإستعداد للإنتفاضة:

أمام هذه الوضعية السيئة التي أصبح يتخبط فيها سكان الزعاطشة من جراء السياسة الإستعمارية الجائرة، قرر الشيخ إعلان الجهاد فبدأ بالدعاية ويحث السكان على عدم الامتثال لأوامر الإدارة الفرنسية والإمتناع عن دفع الضرائب، ولقد استجابت بعض القبائل لهذا النداء، منها أولاد عبيدي سكان قرية نارة وهذا ما دفع فرنسا لقيادة حملتها الأولى ضد هذه القرية في 25 أفريل 1849م، كريبسا حيث قام بالإتصال بزعماء القبائل والأعراس المجاورة (سي المختار في سيدي خالد وأولاد جلال، سيصادق بن الحاج في أحمر خدو، وعبد الحفيظ الخنقي في الزاب الشرقي وسي الصغير بن أحمد) من أجل كسب تأييدهم وإعلان الجهاد وجمع المال وشراء السلاح والمؤن.³

كذلك أمر الوالي العام ضباط المكاتب العربية بان يقبضوا على الثائرين الراضين للإحتلال الفرنسي فقام الملازم سيروكا نائب قائد المكتب العربي ببسكرة بالتحرك نحو الزعاطشة للقبض على الشيخ بوزيان، واصطحب معه شيخ بلدة طولقة ابن الميهوب صحبة

¹ العربي بلعزوز، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849م على ضوء الكتابات الأجنبية، مجلة عضو الجديدة، مجلد 08، العدد 1، جامعة حسيبة بن بولعيد الشلف، ماي (2017/2018)، ص 129.

² إبراهيم مياصي، ثورة الزعاطشة 1848م، المرجع السابق، ص 88.

³ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 46.

بعض رجاله الفرسان، وتوجه الجميع إلى واحة الزعاطشة حيث وجدوا الشيخ بوزيان يتجول وحده فطلب منه الضابط الفرنسي أن يتوقف ويذهب معه إلى مقر القيادة، وأمره أن يركب بغلة معدة لهذا الغرض و يتبعه إلى بسكرة، إمتثل الشيخ بوزيان للأمر وصعد على ظهر البغلة ثم فجأة مزق خيط سبخته فتناثرت فنزل وتظاهر بجمعها من أجل ربح الوقت، فاغتم سكان الزعاطشة هذه الفرصة وخرجوا بأسلحتهم وكانت هذه أول حادثة أشعلت نيران الثورة¹. وقد أشعلت التصرفات المتعجرفة للملازم سيروكا فتيل شرارتها عندما حاول صحبة شيخ طولقة ابن ميهوب إلقاء القبض على الشيخ بوزيان، بعدما انتشرت أخبار عن توافد العروش والقبائل والزوايا إلى تحضيرها للثورة، فتعرضت الفرقة العسكرية المصاحبة لسيروكا لهجوم من أتباع الشيخ بوزيان بالزعاطشة، وعلى إثر تقرير الضابط سيروكا عن الأحداث طلب بدوره الضابط دوبوسكيه رئيس المكتب العربي من سكان واحد الزعاطشة تسليم بوزيان، لكنهم أعلنوا استعدادهم للموت وما لبث أن تحمس سكان فرفار وفوغالة وبوشقرون وطولقة للثورة، وتمردوا على السلطة الفرنسية، فتحرك ابن قانة بوعزيز بأمر من النقيب لاقرونيه بمحاصرة الزعاطشة ورفرار وليشانة وعزلها باستعمال قوات القوم، إلا أن لهيب المقاومة انتشر والمدد وصل تباعا من كل صوب² وكان النقيب يعتقد بإجرائه لأن سيحقق النتائج المرجوة وهي أن هذه القرى لن تتوان في طلب الأمان، خاصة بعد الأخبار التي تفيد بوصول الطابور الفرنسي الذي سيضع حدا لهذا الشغب³.

ب. مراحل الإنتفاضة

1. المرحلة الأولى (مرحلة القوة):

¹ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص90.

² عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي واحمر خدو، المرجع السابق، ص669.

³ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص91.

نجح الشيخ بوزيان في استقطاب عناصر كثيرة من خارج الزعاطشة لتقديم الدعم، ورصد ذلك العقيد كاربوجيا في بسكرة، وللإشارة لم يكن هدف الشيخ بوزيان تجميع أكبر عدد من الأنصار في الزعاطشة وإنما هدفه إثارة كل المناطق لدفعها إلى القيام بثورة عارمة تنهي التواجد الإستعماري في الجزائر، ولكنه اعتبر أن القاعدة والحصن المتين للثورة هي واحدة الزعاطشة، كما ظن الضابط سيروكا حاكم المكتب العربي في بسكرة أنه بإمكانه القيام بمبادرة إلقاء القبض على الشيخ بوزيان والقضاء على ثورته في المهدي، للحصول على ترقية عسكرية من دون شك كما حاول إقناع سكان المنطقة بالتراجع عن نصرته الشيخ بوزيان وتسليمه له، إلا أن هذه الأحداث لم تتم إلا على سذاجة بعض الضباط الفرنسيين وعدم درايتهم بالأسس المتينة التي تربط عناصر المجتمع الجزائري بالوطن و ببعضهم البعض¹ وبعدها تمكن القائد كاربوشيا من تهدئة الأوضاع في منطقة الحضنة وقضائه على ثورة أولاد سحنون² وتجسدت هذه الثورة في الهجوم على زمالة الخليفة سي مقران وكذا قائد أولاد سلطان " سي عمران بن جنان" الذي هرع إلى مساعدة سي مقران وكاد أن يقع كليهما في يد أولاد سحنون، ومهما يكن فإن هذه الثورة أتت بالكثير على عملاء الجيش الفرنسي بالمنطقة، كما قامت بإحراق محاصيل المعمرين وخشي المستعمر أن تصل تلك الثورة إلى بلزمة وبوطالب فاتخذ الإجراءات للحيلولة دون وقوع ذلك، وأثناء المناورات الفرنسية الفاشلة في الزعاطشة وثورة أولاد سحنون واصل الشيخ بوزيان نشاطه والتوعوي الهادف إلى دفع القبائل إلى حمل السلاح لتحرير الوطن وفي الزاب الظهري (أولاد نائل وأولاد سليمان وغيرهما) والزاب القبلي الأقرب، وأدركت الإدارة الإستعمارية خطورة ما يجري حيث كتب "شارل فيرو" المترجم الرسمي للجيش الإفريقي في هذا الشأن قائلاً "إن تطورات الأحداث في الزعاطشة باتت مقلقة للغاية، ليس على عمالة قسنطينة فحسب بل على كل الجزائر ولذلك كلف

¹ العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 131-132.

² شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 49.

الحاكم العسكري العمالة الشرقية الجنرال هيريون القائد العسكري ببناتة العقيد كاربوشيا بالتوجه نحو زعاطشة حيث راسله بتاريخ 09 جويلية 1849م، ولكن قبل ذلك أمره بالتوجه إلى القبائل الثائرة في طريقه قبل بلوغ الزعاطشة¹ تم بعد ذلك توجه إلى الزعاطشة على رأس قوة قوامها 2000 جندي للقضاء على الثورة² وهذا بعد وصول كاربوشيا بتاريخ 16 جويلية 1849م إلى الزعاطشة فشد الحصار على الواحات لخنق الثورة والتخلص من زعيمها بوزيان من أجل الأمن في المنطقة لكنها فوجئت بصلافة الثورة وإقدام المجاهدين الذين أمطروا القوات الفرنسية بالرصاص الذي قضى على العديد من جنودهم وبعد ساعات طويلة من الاقتتال بين الطرفين تأكد العقيد كاربوشيا من هزيمته فأمر ما بقي له من الجنود بالرجوع إلى الخلف لكنه كان محاصرا من سرايا مجاهدي المسيلة وبوسعادة وأولاد نائل الذين جاؤوا لمناصرة إخوانهم في الزعاطشة والذين كبده خسائر فادحة في الأرواح والعتاد³، حيث كان هذا أول هجوم فرنسي على الزعاطشة لكنه فشل فشلا ذريعا، مما زاد تأجج نار الثورة في صفوف المواطنين ودفعهم هذا إلى الالتفاف حول الثورة ولما وصل الموكب إلى سريانة أصدر سيدي عبد الحفيظ أمره إلى خلفائه بحط الرجال والتمركز على الضفة اليسرى على واد برارز، وفي نفس الوقت أرسل الشيخ عبد الحفيظ رسولا إلى شيخ سيدي عقبة الباي بن شنوف يطلب منه الانضمام إلى المسلمين لمحاربة العدو المشترك، ولكن بن شنوف غدر وخان أخبر السلطات الفرنسية بذلك، وحينها وصل سان جرمان واد برارز وضرب القائد الفرنسي الحصار على معسكر المجاهدين، وبعدها انطلقت الرصاصات وبدأت المعركة وقاتل المسلمون كالأسود، واستطاعوا في الساعات الأولى من المعركة أن يهزموا قوات العدو ويقتلوا قائدهم سان جرمان برصاصتين في الرأس، مما أجبر عبد الحفيظ على الانسحاب

¹العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 133.

²شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 49.

³إبراهيم مياصي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص 92.

تاركا حوالي مائتي شهيد، أما الفرنسيين فقد رجعوا إلى بسكرة ولما رجع نعي سان جرمان إلى جنرال هيربيون عين العقيد كربوشيا خلفا له، ثم توجه بنفسه لمحاصرة الزعاطشة.

2. المرحلة الثانية (مرحلة الحصار)

بدأت المرحلة الثانية بفرض الحصار من طرف الجنرال هيربيون لواحة الزعاطشة بصفتها مصدر القلق في المناطق الأخرى فوصل إلى الزعاطشة بقواته يوم 7 أكتوبر 1849م ليستولي على الزاوية لكن في هذه الظروف اندلعت عدة أعمال في المناطق المجاورة تستهدف قطع طريق المواصلات عن قوات هيربيون فقرر الهجوم على الواحة قبل فوات الأوان، فكان هجومه فاشل يوم 20 أكتوبر 1849 أين تكبدت خسائر فادحة، فطالب بقوات أخرى لدعمه فجاء الكولونيل كانزوبرتا ب 1210 رجل بعدما قضى على إنتفاضة بوسعادة لكن حمل معه الكوليرا إلى معسكر الجنرال هيربيون¹ كما أمرهم بقطع النخيل وحرقتها لتمكن المدافع الفرنسية من الوصول إلى الواحة، وتوجه بنيرانها نحو الزاوية إلا أنها جوبهت بمقاومة عنيفة حيث تكبدت هذه القوات خسائر قدرت ب 25 قتيلاً منهم ضابطو 47 جريحاً، وبالرغم من المقاومة الباسلة للأهالي إلا أن المدافع الفرنسية تمكنت من إحتلال الزاوية ورفع العلم الفرنسي فوق مؤذنتها إحتفالاً بالنصر المحقق² وذلك من أجل إحكام قبضة الحصار على واحة الزعاطشة، غير أن الشيخ بوزيان استطاع أن ينفذ من هذا الحصار ويرسل الرسل إلى مختلف الأنحاء ليطلب المجدة والمدد لاستمرار مقاومة الأعداء فتوافدت عليه الكتائب والإعانات من جميع الأعراس وتقيد المصادر التاريخية أن أجنادا كثيرة قد غادرت وادي سوف في طريقها إلى ميدان المعركة، كذلك أن خليفة الأمير عبد القادر الأسبق محمد الصغير بن أحمد بلحاج قد قدم إلى منطقة الزعاطشة على رأس كوكبة من الفرسان من تونس للقتال بجانب

¹ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 82.

² شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 51.

إخوانهم، كذلك انضموا القبائل التي غادرت التل غلنا الثورة، وما انفكت نجدات سكان بوسعادة وأولاد نايل وغيرها تصل إلى ميدان القتال¹.

3. المرحلة الثالثة (مرحلة الضعف والإنهيار)

وفي هذه المرحلة الأخيرة تحركت الجيوش الفرنسية بتاريخ 15 نوفمبر 1849 بقيادة الكولونيل لورمال متجهة صوب الواحة، وعند وصولها إلى المنطقة تم تقسيمها إلى ثلاث فرق، حيث أوكلت مهمة قيادة الفرقة إلى بارال والعقيد كانروبا ولورمال والعقيد دومنتال وقدرت بأكثر من ثمانمائة رجل² إن الحصار الذي ضرب على الزعاطشة في شهر أكتوبر قد استمر إلى يوم 28 نوفمبر 1849م، تاريخ الهجوم الجديد الذي أعطيت فيه تعليمات بإبادة الواحة من قتل جميع الأحياء من أطفال ونساء وشيوخ وقطع كل الأشجار بما فيها النخيل مصدر رزق السكان، وتخريب كل المنازل وحرقها، ورغم ذلك صمد السكان أما هذا الهجوم الكاسح ولم يطلب أي شخص من الزعاطشة (الأمان) أي رفع العلم للاستلام، بل اشتبك الثوار مع الجنود الفرنسيين بالسلاح الأبيض من مكان إلى مكان وبعد عدة معارك طاحنة اختلت القوات الفرنسية كل الشوارع الساحات وذلك حوالي الساعة التاسعة صباحا، فسكنت المقاومة وأجهضوا على الجرحى المسلمين نكاية بهم³ وذلك بحوالي 8000 عسكري و16 مدفعا بعبارات مختلفة أطلقت ما مجموعه 3500 قذيفة على الواحة وبعد قصف مدفعي كثيف أعطيت إشارة الهجوم بثلاث قوات من مدافع ومواقع مختلفة، فانهت القتال بعد أربع ساعات من بدايته وكان آخر بيت بقي قائما في الزعاطشة هو بيت الشيخ بوزيان الذي نسف ثلاث مرات متتالية بالمتفجرات إلى أن سقط سور منه دون أن تتوقف مقاومة من كانوا بداخله لأنهم أجهزوا على 49 من عناصر الجنود إلى أن سقطوا مقاومين ، أما مصير

¹ إبراهيم مياصي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص92.

² شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص52.

³ إبراهيم مياصي، ثورة الزعاطشة 1848م، المرجع السابق، ص94.

الشيخ بوزيان وابنه والشيخ سي موسى الدرقاوي فكان الرمي بالرصاص ثم قطعت رؤوسهم وعلقت على جذع نخلة ولم ينج من ذلك الهجوم إلى خمسة وشيخ حسب الجنرال هيربيون وأخذت رؤوس هؤلاء الثلاثة إلى متحف باريس وكان رمز المقاومة للشيخ بوزيان حسب الفكر الاستعماري الضيق¹.

3. نتائج الإنتفاضة

ومن بين النتائج العديدة نذكر ما يلي:

- إنتهت مقاومة الزعاطشة بخسائر فادحة حيث خرجت الواحة بكاملها وعن آخرها وأباد

الجيش الفرنسي سكانها وقطع نخيلها، وقد شهد شاهد منهم عن فضاة

الجنود الفرنسيين، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي المشهور والورع من الأحداث بوديكور

إن الجنود قد انتفضوا على الذين لم يسعفهم الحظ للهروب حيث شاهد جنديا مبتورا

يحاول قطع حلمتها، وهي تطالب العفو عنها².

- قتل هيربيون أكثر من 800 جزائري دون إحصاء الموجودين تحت الانتفاض،

واستعمل في ذلك طرقا وحشية يندى لها جبين الإنسانية³.

- أثارت مقاومة الزعاطشة تضامنا دينيا و وطنيا لا مثيل له، ومن إصرار السكان على

إفشال مخططاته، وانعكس ذلك إلى استغراب كبير من قبل الاحتلال الفرنسي.

- إحتلال مدينة بوسعادة لأنها قامت بانتفاضة بقيادة محمد علي بن الشيرة وهم زعيم

ديني، دعا إلى الجهاد أثناء مقاومة الزعاطشة وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان.

¹العربي بلعزوز، المرجع السابق، صص 139-140.

²رابح لونيبي، انتفاضة، المرجع السابق، صص 83.

³نصر الدين براشيش، المقاومة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر "ثورة الزعاطشة نموذجا"، مجلة الحقيقة، العدد 43،

جامعة أدرار، صص 133.

- حرق واحة نارة وآلت إلى نفس مصير واحة الزعاطشة، وشانها يقول الجنرال كارولير في مراسلة إلى الوالي العام "قرية نارة قد سقطت، وإن سكانها قد سقطوا بالجنان الواقعة بالمنحدرات، وقد تتبعناهم من دار إلى أخرى حتى قضينا عليهم، وقد قضينا سبع ساعات في حرق وهدم القرى الثلاث التي تتكون منها نارة¹.
- انتهت أحداثها بتحطيم الواحة (واحة الزعاطشة) واستشهاد الشهيد بوزيان² وأدت الوحشية بالجيش الفرنسي إلى جزرؤوسهم والتتكيل بها³ كما أن زاوية لم تسلم من العقاب حيث قطع رأس بومعزة بعد استشهاده بسور الغزلان سنة 1849م.
- تركت مأساة الزعاطشة آثارا عميقة في الزيبان وكل الجزائريين، فقد أكدت وحشية الإحتلال الفرنسي أهمية توحيد جهود المقاومة و تنظيمها وتصفية قضية الخونة⁴.
- وأخيرا استطاع الإحتلال الفرنسي أن يفرض نفسه على المنطقة بقوة الحديد والنار وأن يسيطر على كامل الزيبان وهو بذلك وضع قدمه على أول عتبة للصحراء ولهذا فإن احتلال هذه المنطقة تعتبر مرحلة حاسمة للتوسع الاستعماري في الجزائر عامة والصحراء خاصة⁵.

¹ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص24.

² نايلي عبد القادر، مذكرات العسكريين الفرنسيين خلال فترة الإحتلال الفرنسي ومدى مساهمتها في تدوين تاريخ الجزائر "المقاومات الشعبية نموذجا"، ص46.

³ محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص68.

⁴ عباس كحول، مقاومة الزعاطشة من خلال موقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي وأحمر خدو، المرجع السابق، ص671.

⁵ إبراهيم مياصي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص98.

الفصل الثاني: صورة إنتفاضة الزعاطشة في الأدب

الشعبي.

أولاً: لمحة عن الانتفاضات الشعبية في الأدب

الشعبي.

1. الأدب الشعبي خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

2. نماذج عن صورة الانتفاضة في الأدب الشعبي.

ثانياً: صورة انتفاضة الزعاطشة في الأدب الشعبي.

1. الأدب الشعبي بالزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

2. الشاعر أحمد الليشاني في مقاومة الزعاطشة.

3. الشاعر الفلياشي ابن الشرفي في مقاومة الزعاطشة.

أولاً: لمحة عن المقاومة الشعبية في الأدب الشعبي

يرتبط الشعر الشعبي في بلدان المغرب العربي باستقرار بنو هلال في منتصف القرن الخامس الهجري، ودخول الهلاليين إلى المغرب العربي كان له أثر كبير على الحياة الثقافية والأدبية في المغرب العربي¹، ويؤكد التلي بن الشيخ في قوله "أن العامل الذي كان له الأثر الكبير في ظهور الشعر الشعبي هو هجرة القبائل الهلالية في منتصف القرن 05هـ، بحيث يمكن القول بأن دور الهلاليين قد أسهم في بلورة الشعر الشعبي"، كما يذهب أيضا التلي بن الشيخ في اعتقاده بأن للهجرة الأندلسية أثر في انبعاث الحركة الشعرية في الأقطار المغاربية عموما والجزائر خصوصا، وكان من بين مهاجرين الأندلسيين علماء وأدباء كان لهم دور كبير في نقل الثقافة والأدب من الأندلس إلى إفريقيا².

كما يشير أدب المقاومة لمرحلة تاريخية مهمة في تاريخ الأمة العربية عموما والجزائر خصوصا حيث اقتضت هذه المرحلة التضحية والمقاومة والكفاح بأشكال ووسائل عديدة أهمها المقاومة الفكرية والأدبية التي تجسدت في فنون أدبية أبرزها شعر المقاومة الذي اتخذ منه شعراء الجزائر والعرب سلاحا لمجابهة المستعمرين ودحرهم، وأداة لشحن الهمم والتعبير عن المشاعر والأحزان، فكان للشعر وقع على النفوس فحرك الضمائر وأحيى القلوب، وهياً الشعوب لما هو أعظم ألا وهو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الوطن. ولما نتناول شعر المقاومة في الجزائر فإننا نتوقف عند عدد من الشعراء الذين تدور أقلامهم في سبيل الوطن والشعب، حيث صوروا لنا بطولات الشعب الجزائري، ضربوا لنا أروع الأمثلة في التضحية والفداء فكان لوقع أقلامهم دوي صده مثل صدى الرصاص.

1. الأدب الشعبي بالجزائر خلال فترة الإحتلال الفرنسي

حرص الأدب الشعبي الجزائري بصفة عامة والشعر بصفة خاصة منذ أن وطئت أقدام الدخيل الأجنبي بالجزائر على صيانة معالم الشخصية الوطنية، والتصدي لمحاولات

¹ محمد مرزوقي، الادب الشعبي، الدارالتونسية للنشر، الطبعة5، 1967م، تونس، ص57.

² التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1990م، الجزائر، ص26.

الطمس والذوبان في شخصية المستعمر، الذي استباح كل الوسائل لتحقيق أهدافه غير المشروعة.

كما يعد الأدب الشعبي الجزائري جزءا من كيانها وهويتها الوطنية ووجودها الحضاري، لهذا عمد الشاعر الشعبي على توعية الجماهير والدعوة إلى التمسك بثوابته وهذا ما يؤكد أحمد حميدي وقوله "الشعر الشعبي والذي يسمى كذلك الشعر الملحون جزء هام من الذاكرة الشعبية، ومقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية، ظل المرآة الصادقة التي لم تستطع أن تعبت بها يد الإستعمار الذي عمل كل ما في وسعه لتدمير كل مقومات هذا الشعب، وكل ما يعبر عنها منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر المجاهدة".

فمنذ دخول المحتل الفرنسي بالجزائر عمل على سلب أفكاره، وزور تاريخه، وحطم

كيانه، واشتغل ثرواته، وبذلك تعرضت شخصية الأدب التي ظلت متحفظة بمقوماتها

وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملاح، لأنها لم تستطع أن تواجه

الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء الاحتلال في عنفوانه وانتقامه ولم تستطع أنتطور ذاتها

بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه في الهدم والتسلط وإزالة المعالم القومية¹.

فقد كانت المهمة الأولى للاستعمار، هي ان يقضي على الشخصية العربية، وقد استنفد

الاستعمار جهدا كبيرا طوال عشرات من السنين في محاولة القيام بهذه المهمة².

كما حاول المستعمر الفرنسي تشديد الخناق واضطهاد الثقافة الوطنية ومحاربتها بكل

الوسائل الممكنة وخاصة أنها تعتمد على اللغة العربية أداة للتعبير والتفكير، فأزعم عبطمس

معالمها وتدشير بنيتها والتشكيك في كفاءتها³ يقول عبد المالك مرتاض "أنه تم التضيق عليهم

حيث ثقفوا، وإزعاجهم حيث وجدوا، ولا يزال المستعمر الفرنسي ينظر ويصور ويفكر

¹ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، الطبعة 5، 2007، ص 22.

² عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 34.

³ عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، رصد لصور المقاومة في النثر الفني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2003، ص 45.

ويقدر، حتى سن قانونا لثيما صدر في الثامن مارس من سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف ينص أنه لا يجوز تعليم اللغة العربية لا في الزوايا ولا في المساجد¹.

ورغم محاولات التشويه والتضييق والمسح، وقطع الجزائر عن تاريخها وماضيها، فقد بقيت الهوية وسمات القومية العربية حاضرة في الأدب الجزائري، وقد رد عبد الحميد بن باديس على المشككين بقوله:

شعب الجزائر مسلم
من قال حاد عن أصله
وإلى العروبة ينتسب
أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له
رام المحال من الطلب

كما يذكر الشاعر الجزائري مفدي زكرياء، أن الأدب الجزائري كان إبان فترة الاستعمار الفرنسي، سواء منه المكتوب باللغة العربية، أو المكتوب باللغة الفرنسية أدب المقاومة، وقد عرف الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية وثبته العملاقة بداية من سنة 1925م، فعن هذه السنة يقول مفدي زكرياء في كتابه **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر** " وقد امتازت هذه سنة 1925م بحادثتين عظيمتين في تاريخ حركة المقاومة الجزائرية: أولها تأسيس جمعية العلماء، و ثانيها تأسيس الحزب السياسي الجزائري تحت اسم « نجم شمال إفريقيا »".

ويذهب شاعر الثورة التحريرية مفدي زكرياء وهو يتحدث عن الشعر في الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ببجاية في مقطوعة قصيرة.

والشعر أسمى مرتقى يعلو له
لولا ما قامت لقومي ثورة
من سخروا الدنيا لصنع البقاء
أبدا ولا هب الحمى لبناء²

فالأدب الجزائري لم يكن ركاب حركة المقاومة الجزائرية سلبية وإنما كان دافعا لها إلى الأمام لتصل إلى نتيجة حتمية.

¹ ملكة فريحي، المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلة عود الند الثقافية، ع 7، 2015، ص 07.

² مصطفى حموده، المقاومة في أدب مفدي زكرياء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012، ص 20.

كما سعى الشاعر الشعبي إلى كشف جرائم الإستعمار الفرنسي، الذي استعمل شتى أنواع الوسائل غير المشروعة لطمس المعالم الشخصية للشعب الجزائري، أبشع أنواع التعذيب والقتل والتشريد، كما فرض عليه سياسة التجهيل والنفي والإقصاء من وطنه "وعمل المستعمر بخبث على القضاء على كل المؤسسات التي يمكن أن تؤدي دورا ثقافيا أو حضاريا، وكادت العربية والثقافية الإسلامية أن تتجلي نهائيا، لولا بعض الزوايا وجمعية العلماء المسلمين" وقد صور الشاعر محمد شبيرة¹ هذه المآسي والمعاناة في قصيدة عنوانها "الربعة وخمسين" يقول فيها:

أحرمت شعبنا من ثروتنا
جهلت شبابنا ولى جمال
أهجرت فلاحنا من أرضنا
من مكرهم راه هاجر للجبال
واسجنت أبيا وخوانتنا
واشنت العديدهم يا جهال²

وبعدما صور الشاعر الشعبي آثار الاستعمار الفرنسي وما خلفه من آلام ومآسي يتوعدده بالثأر داعيا إياه بلغة النار والحديد في قوله:

نقسم بالله هو خالقنا
نمحي هذا العار ما نخشى قتال
أنشعلها نار نعلن ثورتنا
يتعجر بركانها عبر الجبال³

كما لم يكتف الشاعر الشعبي بنقل وتاريخ الأحداث والوقائع بلسانه، بل كان فاعلا ومجاهدا بسلاحه، وكان شعره حاضرا متأججا و نابعا من روح إسلامه أصيلة واعتزاز بحب الوطن، فشكل هذا الشعر بالنسبة إلى الذات الجزائرية "متنفسا من الاحتقان والمعاناة التي سببها الاستعمار الفرنسي، كما أدى الشعر دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية الوطنية ودعم

¹ محمد شبيرة: شاعر شعبي من مواليد 14/10/1927م، من منطقة باسيف ولاية المسيلة، نظم هذه القصيدة أثناء الثورة، ينظر: أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، دت، ص ص 108-110.

² أحمد حمدي، المرجع نفسه، ص 106.

³ أحمد حمدي، المرجع نفسه، ص 15.

القيم الإسلامية والدعوة إلى الكفاح ضد المستعمر " الذي أكدها الشاعر والشهيد " سي المصدق من خلال مشاركته في معركة " جبل مناور " قائلا:

ابقوة ربي ننتصر على كيد الكافر والله إيكون عون الصابرين

اتفقنا درنا العهد والموت مقدر يبقى العهد للمناضلين

ويدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى التأكيد وترسيخ قيمة الوطن، كعامل مهم ناضل من أجله الثوار، وأن يشهد التاريخ ويسجل تضحياتهم الجسام من أجل الوطن الغالي واسترجاع الحرية والكرامة، في قوله:

اشهد يا تاريخ واكتب وسطر احكي لزمان لى هم حيين

هذا الوطن عزيز واجب يتقدر عليه انضح للحق كلخيرين

ولطالت لمعمار والوطن تحرر انعيش فيه حرارا في أرضنا حرين

هيا يا ثوار وطن الجزائر للقدام نسير يا مناضلين

وتؤكد هذه الأبيات الشعرية على النزعة الدينية التي سيطرت على موقف الشاعر "سي

مصدق" اتجاه وطنه، قصد إيقاظ الهمم، ونشر روح الوطنية الثورية¹.

وربما هذه من الأسباب التي أخرت الأدب الشعبي الجزائري مقارنة مع نظيره في المشرق،

وهذا ما جعل عبد الله ركيبي يقول أنه لا أدب في الجزائر فأدب الجزائر " فيه شعر يجهله

الكثيرون من أبناء العروبة، و يجهله حتى الأدباء الكبار الذين يتزعمون حركة الفكر والأدب

في العالم العربي وحتى إلى زمن قريب جدا لم يعرفوا عن الأدب في الجزائر سوى أشياء

قليلة" كل هذا راجع إلى قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال، إضافة إلى ذلك فالأدب

الجزائري وخاصة الشعر لا زال مشتتا في المجالات والصحف يبحث عن من يلم شتاته ويجمع

مصادره.

¹ عبد القادر خليفي، الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر 2002، ص ص 157-158.

2. نماذج عن صورة المقاومة في الأدب الشعبي

ارتبط الشاعر الشعبي الجزائري بقضايا وطنه وأمته، وساهم بشعره في نصره القضايا الوطنية والإنسانية العادلة، ولا سيما في الفترات الحرجة والصعبة التي مرت بها الجزائر في فترة الإحتلال الفرنسي، فانبرى الشعراء الشعبيون في كل جهات الوطن إلى تنظيم الصفوف وتجنيد الناس لمحاربة المحتل وحمل الجزائريين علالتضامن ووجد الصف والمشاركة في تمويل المقاومات ونصرها، وقد حمل لواء شعر المقاومة الجزائرية مجموعة من الشعراء في مراحلها المختلفة نذكر مثلا :

1.الشاعر الجزائري عبد القادر الوهراني: الذي عاش وقائع الإحتلال الفرنسي بالجزائر¹ سنة 1830م وشهد سقوط مدينة الجزائر مما أثر في نفسه كثيرا، ودفعه إلى تنظيم قصيدة عام 1846م، ويقول الشاعر في بعض أبياتها بعد أن يصلي ويمدح المصطفى عليه أفضل الصلاة وأطيب التسليم على عادة شعر الملحون:

والدهر ينقلب ويولي في الحين	الأيام يا اخواني تبدل ساعاتها
الاجناس تخافها في البر وبحرين	بعد كان سنجاق البهجة ورجاقها
وعطاوها أهل الله الصالحين	أمنين راد ربي ووفى مجالها
لا هي ميات مركب لا هي ميتين	الفرانسييس حرك لبها وخذاها
كي جا البحر بجنود قوين	بسفاينه يفرض البحر قبالتها
الروم جاو للبهجة مشنتين	غاب الحساب وأدرك تلف الحسابها
	راني على الجزائر يا ناس حزين ²

¹ عبد القادر طالبي، الشاعر الشعبي وتسجيل أحداث الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة سياقات، المركز الجامعي نوري البشير البيض، الجزائر، المجلد 04، العدد 3، 2019، ص 147.

² ينظر: قصيدة عبد القادر الوهراني دخول الفرانسييس، مجلد الآمال، اصدارات وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، العدد 4، نوفمبر/ ديسمبر، 1969، ص 74.

فهذه القصيدة تصور احتلال مدينة الجزائر ومقاومة الأهالي للمحتل بكل شجاعة ورجولة ثم كيف عمت الأحزان المدينة جراء الاحتلال وممارسته الوحشية الفظيعة في حق الأهالي الأبرياء، وتعتبر القصيدة من هذه الناحية وثيقة متميزة في مجالها حيث يقول الدكتور عبد المالك مرتاض: "ومما نقول في هذه القصيدة الشعبية العجيبة التي لا نجد لها ولنؤكد ذلك تارة أخرى، نظيرا فيما اطلعنا عليه من شعر المقاومة شعبيا وفصيحا معا"¹. وتتميز هذه القصيدة بعاطفتها الوطنية الغامرة وكذلك غيرتها الدينية بالإضافة إلى دقة المعلومات التاريخية التي تضمنتها، ومن هنا فهي ليست مجرد نص لتمجيد المقاومة بل هي أيضا نص إجتماعي وتاريخي يشهد بمدى مأساة السكان المحتلين وهمجية المحتل الغاشم ويهيب الشاعر بالناس في القصيدة ذاتها أن تنهض لمقاومة المحتل والجهاد في سبيل الله قائلا في بعض أبياتها:

أهنا الناس تظهر وتبان أخبارها موت الجهاد خير من اللي حيين
حور الجنان راها تزغرت بأصواتها أبواب النعيم للأمة مفتوحين
الموت لازمتنا وحنايا زادها والصبر لا تكونوشي خيفانين²

وتعني هذه القصيدة المشهورة والتي تقول عنها المؤرخ "مولاي بلخمييس" أنها تعتبر من أجود الإنتاج الشعري العامي، فأنشأها المداحون في الأسواق والمناسبات واعترف الأوروبيين أن القصيدة ساهمت فعلا فيإضرام نار الثورات: كثورة ابن زعمون 1830م، وثورة مليانة1851م، وان فوائدها الإخبارية كثيرة فقد سجل الشاعر أهم الحوادث التي تلت الإحتلال واصفا حالة الأهالي وجبروت الدخيل³.

2-قصيدة ربيعة بولقدام

¹ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 85.

² قصيدة عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 74.

³ عبد القادر طالبي، المرجع السابق، ص146.

ومن الشعر الذي تغني به النسوة في تجمعاتهم نجد الشاعرة ربيعة بولقدام حيث نجدها لا تتردد في تصوير بعض عواطفها الجياشة في قصيدة عامة حول شخصية بوعمامة المثيرة التي كانت تفتك الإعجاب والعجب وتثير الرعب والهلع في صفوف الأعداء ويشنت شملهم فتقول في بعض الأبيات:

طيح ميتين	الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين
نشهم كي الذبان	الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين
ويادمار العديان ¹	الشيخ بوعمامة يا هراس القرون
عربك راها في لازان	والشيخ بوعمامة زاك من الرقاد
وجاب القرطاس يجاهد به	حط الخزنة في بلاده
ويعيط بجهاد ولد التاج	خاذي شاوها ويلغى
ما نرحل ما يبات عربي هجار	يسلم لي بوعمامة
ماخلى لهم قاع منين يدورو	بوعمامة ررب خزائنه
والقبائل كاملة طاعت ليك	النصر هداه لك ربي وجدك
بوعمامة شكون يطيق عليه ²	جاهد الجهلا وعاود لفرنسا
بوعمامة ولد سيدي الشيخ	راه دار الكابوس، فوق الخيدوس

فهذه القصيدة ترنمت بها الشاعرة في وصف مكارم بوعمامة وشجاعته وشهامته وأنفته

الجزائرية، بالإضافة الى الإشادة والإفتخار بالأبطال الثوار وتصوير بطولاتهم، نجد أيضا شعراء شعبيين يرثون على الذين ماتوا أو استشهدوا منهم حتى تبقى ذكراهم خالدة لدى الأجيال على مز الزمان، نجد الشاعر الشيخ المهناني

يرثي الشيخ بوعمامة ويبكي عليه في قصيدة ويقول فيها:

عزوني يا ناس في شيخ العريان عزوني وعسايتي ومفتاح أورادي

¹ عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 147.

² عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 149.

تبكي عيني عليه ما طال الزمان
تبكي الارض والسما والحيوان
مني الابصار به تضوي الأعيان
جوهرة الدين بات راقد في الأكفان
أنا كنت معه تتحسب ولد السلطان
ومتمتع بالهنا وراقد في الأمان
بعد نزوهي أصبحت الحالة الأحزان
مانحرت ما نجوع من فضله شعبان
فراقه راه زاد لي في القلب لمحان¹
كي اللي ما كان في مجالس بيناخوان
وكي اللي ماكان في سراسير القومان
طول الحياة والدموع على خدي
وتجاوبها الجبال بالنواح تصادي
وبحر العلوم ذاك العلم مع الزاد
وأنا ما جبت له خبر يا تكمادي
وفي المملكة وزير تحت حرم سيدي
ويذهب عني الحزن ويطيب رقادي
ومالي تدبير كيف نعمل يا وعدي
ما عندي غير نظرتة هي زادي
وفراقه راه حرم نعاس رقادي
فوق الكرسي يخاطب بكلام الهادي
بعلامة للجهاد قادم للعادي

حاول الشيخ المهناي من خلال هذه القصيدة أن يمثل حزنه الشديد على فراق الشيخ
بوعمامة من خلال مجموعة من الأشياء في الكون تتأثر بفقد هذا الإنسان العظيم، وتذرف
الدموع الحارة عليه من سماء وأرض وحيوان...الخ، فالكون تضرر بفقد بوعمامة وليس
الإنسان فقط.

3- محمد بن قيطون

نال محمد بن قيطون شهرة واسعة وأصبح معروفا في مختلف أنحاء الوطن، سخر شعره
لتمجيد أبطال المقاومة الشعبية من أبناء عرشه البوازيد، اشتهر بقصيدته مرثية "حيزية"، حيث
يشيد الشاعر بدور بعض الأبطال الذين قاوموا المحتل في ثورة البوازيد أبلوا البلاء الحسن
غير أن هذه الثورة قد فشلت فتعرض الثوار إلى الإعدام و النفي وحتى التشريد حيث يقول ابن
قيطون في قصيدته مصورا حزنه وآلامه:

¹ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص ص ، 136-137.

لحباب يا لحباب	نجعي نجعي وين قالوا غاب
فرقوه علشعاب	ما اشين خير اللي على وذني
كي طاح امجد	والسرسور عليه متلمد
مجروح ويكمد	متأثر باجراح دخلاني
ما جاش بن عياش	راعي الأشهب يا ابني رياش
زدموا وما ولاش	رجع السرسور ظهراني ¹
يا راعي الصبار	شاش شاش عيدلي الاخبار
آنا راه قلبي طار	على خوتي الاشراف بعدوني
اطيور بحريه	راحو ما ولوش لي
ما جاوش هنأي	صيوده دواو عربي ²
صدوا قتوت اكبار	راحوا ما بقاو في الدّوار
دواوهم كفار	شمت بيهم ذا النصراني
كانوا مجمولين	واحزم احزم وفراشات مبسوطين
عادوا مسجونين	في حبس الا شفتو عيني
نبكي نطل انوح	بي خوتي غرامهم مريوح
ما صبت وين نروح	ثارت في قاع الامحان ³

ويواصل محمد بن قيطون مخاطبا الثوار من قبيلة البوازيد مؤكدا انتسابه إليهم وافتخاره الشديد بهم:

انتم ريشي باش نطير بالجناحي وانتم سيفي لكفار مهند

¹ أحمد الأمين، صورة مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص ص 111-112.
² عبد الحميد بورايو، الشعر الملحون وتاريخ الثورة من خلال بعض النماذج (محمد بن قيطون/ بلقاسم بن زغادة، أحمد كرومي)، مجلة الموروث، جامعة الجزائر2/ بوزريعة، العدد2، ص212.
³ عبد الحميد بورايو، المرجع نفسه، ص 213.

وانتم درعي وانتم سور ما يتهد وانتم سلاحي يل جا عاداني

4- الشاعر سيدي لخضر بن خلوف

يعتبر من أهم المؤلفين للقصائد الصوفية، اسمه الكامل: سيدي لخضر بن عبد الله بن خلوف أمير المرابطين بمنطقة الظهرة، من مواليد القرن 16، شارك في معركة كبيرة مثل معركة مزگران، توفي سنة 1492هـ-1613م عن عمر يناهز 125 أن عمل على الدفاع عن كرامة الوطن وإيقاظ روح الجهاد وبث الإيمان في نفوس الشعب، وتقويته وتغذيته بكل الوسائل الممكنة، لان المقاومة تحتاج دائما الإيمان القوي بالنصر في قلوب المجاهدين والقائدين في هذا الصدد يقول توفيق المدني: " أن خسارة معركة حربية ليس هو بالأمر العظيم وإنما الخسران الحقيقي هو انهيار روح المقاومة في الأمة للظالمين خضوع المستكين..."، وفي هذا يقول سيدي لخضر بن خلوف في قصيدة مزگران قائلًا¹

ارفع راسك يا علي المفهوم
يا سيد الحسنين وفاطمة
شوف بلاد المسلمين كراها اليوم
تسببها أهل الكفر الظالمة
باذن الله الواحد القيوم
تمسى بيت الكفر مهدومة

في هذه الأبيات يحاول الشاعر أن يدفع الأمة إلى القتال والإقدام لطرد أهل الكفر من الأرض الطاهرة، امتثالا لقوله تعالى: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم... " ويثبت لنا في هذه القصيدة أن الشعب الجزائري لا يمكن أن يصبر أبدا على أدى وفي هذا يقول بن خلوف:

اركب فارس سابق وادانا
بالتعريف يبشر السلطان²
البارح يقول زال اليوم
يا فرساني معكم انتما
جاوا شيوخ سويد للسلطان
وفيهم أبو بكر ومحمد
قالوا له يا أمير لا تليان
لا دين إلا دين محمد

¹بودالية رشيدة، المقاومة في شعر سيدي لخضر بن خلوف - قصة مزگران نموذجا، مجلة الموروث، جامعة الحاج أكلي محند، البويرة، العدد1، 2012، ص 334.

²بودالية رشيدة، المرجع نفسه، ص335.

استشرح سلطانا وليان جاته قومه زاهية ترعد

مسبحو في حوضه التراس لموم نزلوا ذا خبيا وذا خيمة

الخيصة للترك غير النجوم والخيام من الجز مقبومة

يا سايلني عن طرد الروم قصة مزگران معلومة

حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يبين أن حب الجهاد والإقدام على حرب الأعداء

وخوض المعارك بشجاعة وبسالة عند الشعب الجزائري، أصبحت مضرباً للمثل، بحيث يقدم

روحه رخيصة دون أن يمنعه خوف أو تراجع لأنه يحب إحدى الحسنين: العيش بعزة وكرامة

وحرية أو موت تحت ضلال السيوف ومعتبرا إياها موتة فخار، وفي هذا الصدد يقول شاعرنا

عن هذا الأمر:

اشدت السلطان بالحركة سار لعين لحما ونزل¹

استوعظ في طلبتو واشتكى مشى لمقام الثعالبي ودخل

استفتح بالبر والبركة قدم جاه المصطفى ورحل

ظل يسير وناصراتوا القوم وسط متيجة بحور الما

في امرو جات العرب طموم سلطان عادل طاعتو الأمة

5- الشاعر محمد بلخير

ينتمي الشاعر محمد بلخير إلى قبيلة "الزريقات" حيث ولد ونشأ بمنطقة "واد مالح" قرب

عين تموشنت غربي وهران، وكان للبيئة التي نشأ فيها أثر بالغ في توجيهه نحو المقاومة وشعر

المقاومة، فمن الناحية الاجتماعية نشأ الشاعر في بيئة تمجد الفروسية والبطولة، ولا يكون

الرجل فيها كامل الخصال إلا إذا كان فارساً يتصف بالبطولة ولا يهاب خوض المعارك إذا

دعي إليها، أما من حيث الشق السياسي فقد كانت الأرض تموج بدعوات الثورة ضد المستعمر

بل إن بعضاً من هذه الثورات قد بد العمل والاستعداد له.

¹بودالية رشيدة، المرجع السابق، ص 336-337.

فقد كان شعر المقاومة دون غيره من الأغراض التي نظم فيها الشاعر محمد بلخير قصائده وأبدع في ذلك لما فيه من أهمية كبيرة، وقد يكون من أهميته أن فرنسا ذاتها قد حاولت إسكات الشاعر محمد بلخير لما رأت من خطورة الدور التحريضي الذي يقوم به، إذ قامت السلطات الإستعمارية بإلقاء القبض على أهله المقربين، ثم فاوضته عليهم، وذلك بأن يسلم نفسه مقابل الإفراج عنهم، فكان لهم ذلك، بحيث تذكر بعض المصادر والمراجع التي ذهبت إلى أن الشاعر عاد إلى منطقة المقاومة " الشمال الغربي الجزائري " بمحض إرادته وضل متخفيا عن أعين الفرنسيين حتى ألقى القبض عليه¹.

كانت من القصائد التي عرض فيها الشاعر محمد بلخير جانبا من وصف المعارك بمثابة الفيلم الذي يعاد ليستمتع الناس بمشاهدته فيرفعوا من معنوياتهم، فكانت من قبيل الشعر التحريضي، فتكون الذكرى دليلا على نجاح المقاومة وقدرتها على رد العدوان، مثلما حدث في معركة عين الترك، غربي وهران حيث يقول الشاعر في وصف المعركة، ما كان من أمر الثوار فيها:

من هم اقباطينها تتراعد	هجلنا علجات في مارية
وامطامر قفرة البوم يغرد	خلينا عساتهم مخلية
ذاك اليوم كلينيلهم متزاهد	حكيناهم كيف حك القلية
بيجو شروك واش راه يجرد	اديننا ليبال على الدولية
من غير سليمان خان العاهد	والله لا وصلوا امزان اهنايا
حق اما ولى لهيه يعاند	رجع للكفرة يمد القرية
واللي عادى الرسول باش يشهد ²	احنا تبعنا خيار الدنيا

¹شاحطو علي، قراءة في قصائد المقاومة- شعر محمد بلخي نموذجاً- مجلة أبحاث، جامعة وهران1، العدد 05، ديسمبر 2017، ص ص 59-60.

²شاحطو علي، المرجع نفسه، ص 61.

ثانياً: صورة لانتفاضة الزعاطشة في الأدب الشعبي

1. الأدب الشعبي بالزيبان خلال فترة الإحتلال الفرنسي

لقد كان الأدبالشعبي خلال فترة الإحتلال الفرنسي وقدا للمعركة وسجلا صادقا لأحداثها، كما كان الشعر من أبرز وسائل الدعاية لقضية الجزائر العادلة التي قامت من أجلها، وإن المتتبع للحركة الشعرية الجزائرية أثناء الإحتلال الفرنسي يخرج بنتيجة مفادها أن الكلمة هي الأخرى كانت إلى جنب الرصاصة¹ وعلى هذا النحو يغدو النص الشعري عاكسا لروح المقاومة التي تجعل منه حاضنا لتقاليد ملحمية ونصا مؤرخا للوقائع والأيام الخالدة ونذكر بذلك الشاعر ابن قيطون الذي اشتهر بقصيدة الرثاء المشهورة (حيزية)، فقد أرخ لنا أيضا بعض الأحداث التي وقعت في المنطقة في قصائد أخرى ما يجعل لنصوصه قيمة تاريخية متفردة من حيث كونها سجلت وقائع جسيمة جرت في إقليم بسكرة²

لحباب يا لحباب نجعي نجعي وين قالوا غاب

فرقوه علشعاب مشين خير اللي جا على وذني

كي طاح امجد والسرور عليه ملمد

مجروح ويكمد متأثر باجراح دخلاني

ما جاش بن عياش يا راعي صبار يا ابني رياش

زدمو وما ولاش رجع سرور ظهراني

ويواصل محمد بن قبيطون مخاطبا الثوار من قبيلة البوازيد مؤكدا إنتسابه إليهم وافتخاره الشديد بهم:

وانتم ريشي باش نطير بالجناحي وانتم سيفي لكفار مهند

وانتم سلاحي للي جا عاداني وانتم درعي وانت سور ما يتهد

¹ نصر الدين براشيش، المرجع السابق، ص119

² محمد الشريف عباس، القصيدة والمقاومة الشعبية، سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد شعباني بسكرة ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الاصدار الثاني ، 2013م، ص58.

كما أن الشاعر الذي يكتب عن ثورة الزعاطشة لا ينطلق من فراغ في كتابة نصوصه، بل يكتب وراء تراث ضخم، كما يغني تجربته الشعرية ويأخذ منها ما يشاء مما يناسب رؤاه الفكرية الفنية وفي ذلك بعث لتراث الأمة، إن الشعر هو لسان حال الثورات المسلحة وصوت الشعب المنبعث من جيوف المعتقدات وساحات القتال، وهو يحمل الكلمة التي تفعل أكثر من فعل النار، والحديث عن ثورة الزعاطشة من خلال النصوص الشعرية الجزائرية وإبراز مكانتها ذلك ما يوضح عظمتها للأجيال الصاعدة، كما كان لثورة الزعاطشة المجيدة ذكر واضح في ديوان شعراء الجزائر ومن بينهم الشاعر مفدي زكرياء، ورغم أن الشاعر معاصر إلا أنه خلد مقاومة الزعاطشة التي ترتبط بالقرن 19م، إذ يتحدث عن هذه الثورة وعن قائدها المغوار بوزيان حيث يقول في الإلياذة¹:

تلقف رايتك ابن الجزائر	عند ابن زيان تلبى السرائر
وهب الزعاطشة الثائرو	ن فهب لنصرتهم كل ثائر
تحدى ابن زيان سحف اللئام	فمات الشهيد فداء الجزائر
وهل يخفض ابن الجزائر هاما	ويحني جبيننا أمام الصرائر؟
تشهد بسكرة إصرارنا	وصدق ندانا أمام المجازر
وتروي النخيل لعقبة عنا	وتحكي الرمال صمود القساور ²

وهذه الأبيات حول ثورة الزعاطشة وقائدها، تظهر مدى إعجاب شاعر الثورة بها، وإلمامه بالواقع التاريخي والجغرافي لمنطقة بسكرة³

2. الشاعر أحمد الليشاني

يعتبر أحمد الليشاني من شعراء في الأدب الشعبي عاصر المقاومة الزعاطشة وتغنى بها، ينتمي لبلدة ليشانة قرب الزعاطشة التي تبعد عن بسكرة حوالي 35 كلم بالزاب الغربي¹،

¹ نصر الدين براشيش، المرجع السابق، ص 120-121.

² مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 56.

³ نصر الدين براشيش، المرجع السابق، ص 122.

وهي عادة مستملحة لدى الشعراء العرب في مناجاة الطيور¹ وهنا الشاعر لا يرد أن يستعير جناح الطائر وإنما يكتفي بأن يحمله خبرا يقينا لقائده الشيخ بوزيان، والحمام على ماجرت به عادة الشعراء هو خير من يؤنس به وحشة الغرباء، ويسمع الشكوى المكومين، فيرجع سجعه صدى ألم يعتصر في صدر الشاعر ويريد أن يخلعه الحمام، وهنا أرجع الشاعر إختياره للطائر كوسيلة للمواصلات لم يكن عملا إعتباطيا وإنما هو تجاوب عميق ومنطقي مع الثورة النفيسة التي ولدت عن القلق والتي لازمتها في كل أجزاء القصيدة بما نلمسه فيها من عبارات كلها تحدي وازدراء بالعدو الذي يريد اختطاف القائد بوزيان، فاستكمل قصيدته كما يلي:²

هذا الروم جار علينا	ايدور يرفد بوزيان
بوزيان راه واعر	ماهو شي مهمول للخزيان
عنده صرب في ليشانة	واهله كاملة شجعان ³

وهنا تحيل القصيدة إلى نسق إجتماعي وثقافي قائم يؤطر النظرة إلى الذات والآخر معا كما في قوله: الروم جار علينا، فالروم تسمية مستلهمة من النص القرآني في سورة الروم تحديدا ﴿ألم (1) غلبت الروم (2) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (3)﴾⁴، وإذا كانت اللفظة تعكس رؤية دينية أخرى فإنما على نحو ما تمثل في المجمل دائرة عامة للإنتماءات أوروبية عديدة، ما يشي برؤية تقول بتكالب الأوروبي عموما (الرومي) بصرف النظر عن إنتمائته القطري على العرب والمسلمين، فاختيار لفظة الروم بديلا عن الفرنسيين استنهاضا للهمم التي أن لها أن تدفع جور المعتدي، وهو نفس التصوير الذي وجده عند الشاعر سيدي

¹ محمد الشريف عباس ، المرجع السابق، ص60.

² نصر الدين براشيش، المرجع السابق، ص124.

³ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطة 1848م، المرجع السابق، ص95.

⁴ سورة الروم، الآية: 1-2-3.

لخضر بن خلوف في القرن السادس عشر ميلادي لدى حديثه عن معركة مزگران في مواجهة الإسبان:

يا سايلني عن طراد الروم قصة مزگران معلومة
وكان هذه الوقائع في تجلياتها المتعددة تستدعي وقائع قديمة بين الروم والمسلمين، ثم إن
القراقي السائد في ما سيأتي من أبيات، مؤداه أن بوزيان له سند ومدد من أهله وأتباعه:¹
عنده صرب في ليشانة وأهله كاملة شجعان
غير إلي راشق زويجة طبنجة بالفضة والمرجان
ناقلين أسوار تعجب ومثلثين بالطغان²

فالنسق القراقي يظهر من خلال النص حاملا معه قيم الفروسية وما يتبعها من سلاح، فالسلاح على هذا النحو عنصر من عناصر الفخر التي صورت مجدا قوامه مجموعة من القيم المعنوية كالنجدة وصلة الرحم كما يحضر المعجم اللغوي الذي اندثرت منه عبارات كثيرة مثل (راشق زويجة، طبنجة، انقليز) فالمفردات المذكورة تبدو ألفاظا مهجورة في الوقت الحالي، فبعضه له علاقة بالإستعمال اليومي كما الأسلحة في ذلك الوقت، فيما يرتد البعض الآخر إلى أصول غير عربية كما في كلمة طبنجة وهي كلمة من أصل تركي تعني المسدس، أو كما في كلمة لإنقليز التي تحيل إلى نوع من البارود كان مستعملا في ذلك الوقت، أما (الباي) فتشير على حضور عثمانى في تلك الأثناء، وبقدر ما يعتد الشاعر بما لدى قومه من أسلحة بأنواعها المختلفة، فإنه يقر بالإيمان واليقين الأسطوري، ويقول في ذلك:

والله حنا رانا تابعين وسلمنا في كل مكان
الي شاف النبي يربح محمد سيد الانسان³

¹ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص62.

² إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة، المرجع السابق، ص96.

³ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص63.

ان شاء الله من حوضو نروا
من عسل وخمر وألبان
تابعين طريق النبي
ومصدقين ببوزيان¹

ويشير هذا المقطع إلى النص القرآني ويحضر على نحو آخر على سبيل التضمين إلى الآية الكريمة ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾² الآية 15 من سورة محمد وهنا الشاعر قد اعتمد على ترسب في ذهنه من تكوين ديني قاده إلى هذا الربط³ ثم يعود بقوله:

إن شاء الله في الدنيا نسعدوا
وفي الجنة يقول مضمنا
يا الاسلام خسارة عنكم
اتبعوا في أولاد جوان⁴

أي أبناء القديس يوحنا أو من يسمون بفرسانا لإستبارية حيث لفظ جوان أو بالتعبير الفرنسي سان جوان رمزا للآخر الذي ما فتئ يقوم بالإغارة على سواحل شمال إفريقيا ذلك تشكل في المخيال الجزائري تكون عبر قرون من الصمود والمقاومة، وبالعودة إلى النص الشعري نلاحظ وجود نسقين ثقافيين متقابلين يظهران في كل مرة، النسق الأول هو نسق ثقافي مهيم قوامه المقاومة والجهاد ضد المستعمر، حيث قدم فيها المبرر الديني على مشروعية المقاومة، أما النسق الثاني فهو ثقافي مضاد قائم على تسويق الإستعمار بوصفه قدرا من أقدار الله ولا يمكن بحال من الأحوال مقاومة هذا الاستعمار⁵.

سال الطلاب إلي بكتوبهم علماء وأهل القرآن كان يجاهد احرام على اتبع طريق الصلبان

¹ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848م، المرجع السابق، ص96.

² سورة محمد، الآية 15.

³ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص64.

⁴ محمد لمين بلغيت، ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية، مجلة المصادر، المجلد الأول، العدد 2، المركز الوطني للدراسات التاريخية في الحركة الوطنية، ص228-229.

⁵ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص65.

لا حكم للطالب الرضى يخدع بالأمان يقول الجهاد حرام علينا يكذب في بوزيان¹
وهنا النظرة الدينية القائمة على المعرفة المرتكزة على النصوص القطيعة التي تقول بوجود
القيام بجهاد الدفع درء الاحتلال وصدا للعدوان ومن أنصارها الشيخ بوزيان والسواء الأعظم
من العامة، وهذا الفهم الديني المستند إلى النسق الثقافي تقليدي أيضا يقوم على جملة من
المسلمات ذات المنحى الصوفي غير أنه لا يمثل إنكفاء الذات في كل الأحوال يعكس هذا ما
جاء في قول الشاعر:

أهل الرأي مع المشورة من بكري ناضوا بالفتان

وهذا ما يذكرنا يقول المتنبى:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن براي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي في قوة للقوادم

وهي نظرة تتم عن نضج ووعي، مثلما تعكس نسقا سياسيا، يفضح الكيفية التي يتم فيها صنع
القرار داخل الزمرة الإجتماعية في تلك الأثناء، أما النسق المضاد فهو نسق يصدر عن روح
إستسلامية ماثلة في مجموعة من الفقهاء المشعوذين الذين يقولون بحرمة الجهاد والمقاومة،
وفي الأخير يخلص الشاعر محمد ليشاني إلى ذكر أسماء بعينها أراد أن يخلدها في ميدان
الكفاح والمقاومة في منطقة بسكرة ككل التي جاءت لنجدة أهل الزعاطشة، وكما جرت عليه
العادة شعراء الملحون ختم ليشاني قصيدته بقوله:²

إلي قال القول امجد ليشاني نظم خيار القول على الهادي لاصادق النبي العدنان³

وهي نهاية درجت عليها أشعار الملحون في إثبات نسبة القصيدة لقائلها مع الصلاة على
النبي الكريم، ولقد قدم هذا النص الشعري مادة أدبية حملت معها أمام الشاعر مثلما عكست
واقعا ثقافيا واجتماعيا كان سائدا في تلك الفترة، إرتبط على وجه الخصوص بالأنساق التي

¹ محمد لمين بلغيت، المرجع السابق، ص 229.

² محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص 66.

³ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848م، المرجع السابق، 96.

أطرت العلاقات الإجتماعية، ما يؤشر على الروابط الدينية والقربانية التي كانت قائمة مما يدل على روح المقاومة والإستعمار¹.

3.الشاعر الفلياشي ابن الشرفي

يعتبر الفلياشي ابن الشرفي من شعراء الأدب الشعبي عاصر مقاومة الزعاطشة وتغنى ببطولة الشيخ بوزيان، حيث ينتمي لبلدية فلياش التي تبعد عن بسكرة بحوالي 4 كلم بالزاب الشرقي² فجاءت القصيدة معبرة بحق عن مرحلة مهمة من مراحل الكفاح والمقاومة الشعبية الوطنية، ومن أهم الصفات الفنية هي أنها لم تتخذ نظام التفعيلة إلى مكانة هي الأساس في التشكيل الشعري، إلا أنها ترقى إلى مكانة عالية من الشعر الشعبي وقد راع الشاعر الجنب الإيقاعي للنص الذي أبدع فيه بتوظيف المفردات المؤثرة من اللهجة المحلية لمنطقة الزاب وكان يعمد إلى القافية أحيانا على مستوى البيت بحيث يكون في آخر الصدر هو نفسه في آخر العجز، ويختلف في البيت السابق والموالي له فيقول³

جات ليهم قد الجردان	والعساكر مثل الوديان
يحفو بعبادة الأوثان	لن نخلوها وتبقى قفرا
جملة من كل أوطان	من المدينة للغرب تلمسان
لم عساكر حتى لوهران	ذي قضية ماذا جرى
والجزائر من كل مرسى جات	سكيكدة وعنابة بالثبات
على الزعاطشة تلاقات	تورخو يا من هو يقرا ⁴

وقد جاء مضمون القصيدة حماسيا زاخرا بعباءات وجدانية هائلة ودراسة ... من خلال الحيز المكاني و الزماني

¹محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص67.

²عباس كحول،الزاوية والسياسة بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان، (1838-1876م)، المرجع السابق، ص72.

³محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص85، ينظر: R . A, OP . CITE , P 416.

⁴إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848، المرجع السابق، ص96.

3. 1 الحيز الزمني

ذكر الزمن في النص يبعث فيه حياة وقوة، فعامل الزمن يشكل عمر النص الشعري ويجعل

المستمع والقارئ يتفاعل ويعيش محتواه بحيث يقول¹

نزهوني أيا شبان واينهم ضد أولاد جوان

كنت مكر حيران في ضهيري طاحت جمرا²

فعبارة النص الكلية تدل على وصف المستعمرين ومفتاحا لتفكيك بنية النص الزمنية.

3.2 الحيز المكاني

تضمن هذا النص أسماء الأماكن التي جرت فيها الأحداث، منها القرى والمداشر عبر تراب

المنطقة والجزائر ككل، ومن بين هذه الأماكن (المدينة، تلمسان، وهران) بحيث يقول في ذلك³

جملة من كل أوطان من المدينة للغرب تلمسان

ثم عساكر حتى لوهران ذي قضية ماذا جرى

والجزائر من كل مرسى جات سكيكدة وعنابة بالثبات

على الزعاطشة تلاقات تورخو يا من هو يقرا

العساكر والقوم تدور والمدافع تتعمر بالكور⁴

أما مكان المعركة فقد ذكره الشاعر بالاسم المكاني صراحة وهو الزعاطشة حيث يقول:

على الزعاطشة تلاقات تورخو يا من هو يقرا

يا درا واشنه المفعول بين سيدي وناس الكفار

ويمعدو على الراي المكسور قالو نخلوها الدشرة⁵

¹ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص86.

² محمد لمين بلغيث، المرجع السابق، ص231.

³ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص86.

⁴ إبراهيم مياسري، ثورة الزعاطشة 1848 م، المرجع السابق، ص96.

⁵ إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص96.

إن الحيز المكاني ومثله الفضاء الجغرافي يجسد الحالة النفسية والإجتماعية للشاعر، ويؤرخ بصدق لقصيدته ويجعل من المتلقي يتابع بواقعية، السرد والوصف كما رأينا في قصيدة الفلياشي.

3.3 الحيز البشري ووصف الشخوص

والمقصود به بداية كل وصف أو ذكر لشخصية حقيقية أو وهمية في فضاء القصيدة، وفي قصيدة الفلياشي نوعان من ذكور الشخوص فرنسية وأخرى وطنية كما يلي:

أ - الشخوص الفرنسية:

تناولت هذه القصيدة الشعبية فرنسا وكل من يرمز لها من جنود وعساكر مثل: (الناس، الكفار، النصارى، اليهود...) وهي في مجملها أوصاف دينية تعبر عن عقيدة الشاعر يقول مبينا عقيدتهم وبأن دينهم عبادة الأوثان¹

يلحفوا بعبادة الأوثان
لن نخلوها وتبقى قفرا

أو يقول وهو يصف حالته بالكفر وغيره:

يا درا واشنه المفعول
بين سيدي وناس الكفار

بغاو النصارة ويهود
قعدت منتشرا

يا الله يا عالم الأسرار
وهب جيش الكفار للزمهرية²

كما توجد أوصاف أخرى تابعة لشخصية العساكر الفرنسيين، مثل: (الخزيات، الذبان، أولاد جوان...) حيث يقول في ذلك:

قلنا لهم والله يا خزيات
أن نخلكم في هذا المكان

أن تغودو مثل الذبان
تبخسوا وتضحوا في حصرا

¹ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص88-89.

² محمد لمين بلغيث، المرجع السابق، ص231.

ب- الشخوص الوطنية:

وهي قليلة في معظمها، لكن ما ذكر منها يحمل شحنات رمزية تتصل بالجهاد وفي ما ذكر الشاعر من شخصيات وطنية قائدالمقاومة الشعبية في منطقة الزعاطشة الشيخ بوزيان، إما بذكر اسمه مباشرة¹ وما كان باسم سيدي فيقول¹

يا درا واشنه المفعول
بين سيدي وناس الكفار
بوسيف يا بوزيان
لالاي ملجوم يتغنى
حتى من ملايكة الرحمان
يقولوا ينصر بوزيان
لا تشفي فيه العديان
يمنعوا من هذا الداھية²

4.3 حيز العتاد والوسائل

والمقصود به كل وصف أو ذكر لآلة حربية في فضاء القصيدة، وفي قصيدة الشاعر هنا نوعان من العتاد (عتاد فرنسي وآخر وطني).

أ - وسائل العدو الفرنسي:

ذكر الشاعر الوسائل الحربية التي استعملها العدو الفرنسي وأبرز خطورتها (المدافع، الطنابر، البارود) باعتبارها وسائل³ مدمرة بحيث يقول:

العساكر والقوم الدور
والمدافع تتعمر بالكور⁴
ويميعدوا على الراي المكسور
قالوا نخلوها الدشرا
والطنابر مثل الرعود
ومن العجب يتكلم بارود⁵

ب - وسائل ثورة الزعاطشة:

¹ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص ص 90-91.

² محمد لمين بلغيث، المرجع السابق، ص 233.

³ محمد الشريف عباس، المرجع السابق، ص 92.

⁴ إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة 1848م، المرجع السابق، ص 96.

⁵ محمد لمين بلغيث، المرجع السابق، ص 231.

الخطمة

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت مقاومة الزعاطشة في الأدب الشعبي

عدة نتائج :

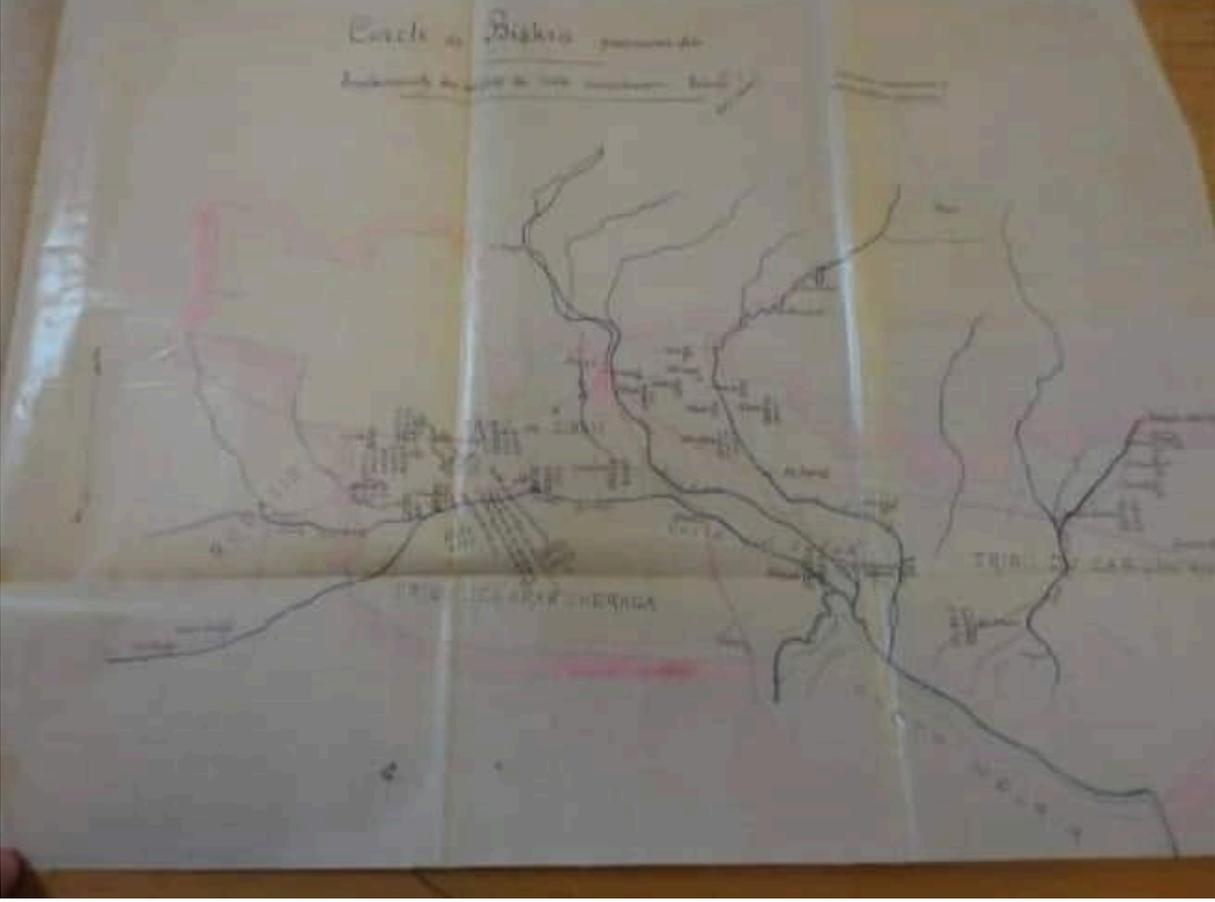
- أهم ما يميز الشعر الذي تناول مقاومة الزعاطشة وهو التناص الديني باعتبار هذه الثورة كانت تفصل بين الحق والباطل.
- استعان الشعراء بالاعتماد على الخيال الواسع الذي لا يحتاج صاحبه إلى الصنعة والتكلف فالشاعر... يبتدئ بنغمة حزينة يجعلنا نعيش الحدث .
- الشاعر هنا دافع عن السيادة بسيف لسانه.
- الشعر هنا وسيلة استعان بها الشاعر لتصوير الوقائع التاريخية لفجيرة الزعاطشة إذ يعتبر الشعر من أكثر الألوان الأدبية تفاعلا مع مواكبة الأحداث.
- اهتم الشعراء أمثال الليثاني والفياشي في قصائدهم بالاعتماد على الشعر الشعبي لأنه كان الأقرب إلى الناس وبث روح التحفيز من أجل الصمود في وجه الاستعمار الفرنسي الغاشم.
- التحفيز الشعري للشعراء كان نابعا من روح الجهاد وكان جزءا أساسيا في المعركة ضد الاستعمار الفرنسي.
- نظمت هذه الأشعار من أجل تخليد مقاومة الزعاطشة وبطولة قائدها الشيخ بوزيان فجاءت تعبر عن مرحلة مهمة من مراحل الكفاح والمقاومة الشعبية الوطنية.
- ارتباط المادة الشعرية بتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على الجهاد ومقاومة الاستعمار والكفار .
- فضل الشعراء توظيف الشعر الملحون الذي يعتمد في أغلبه على اللهجة العامية المحلية لتبليغ الرسالة .

-وتبقى مقاومة الزعاطشة موضوعا يحتاج من الباحث استكمال دراسته وتحليل المادة العلمية وتوظيفها في أبحاث علمية تستذكر بطولات أجدادهم.

الملاحق

ملحق رقم 01

مخطط خريطة دائرة بسكرة (الزيبان) أثناء الإحتلال



1

ملحق رقم 02

¹ عباس كحول، الزاوية والسياسة بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي في الزيبان (1838- 1876) المرجع السابق ، ص262.

خريطة عسكرية لواحتي الزعاطشة وليشانة بتاريخ 1849

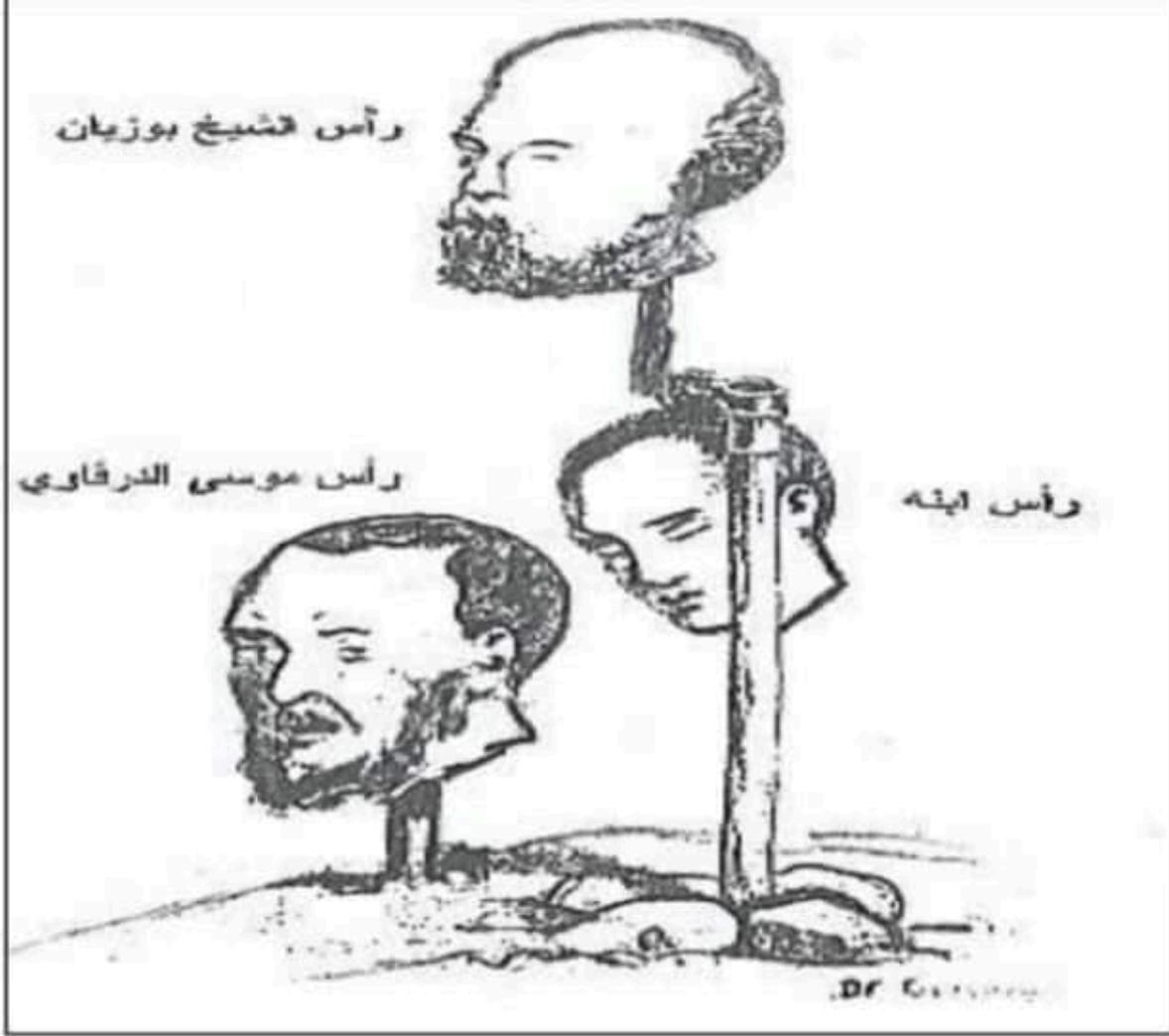


1

ملحق رقم 03

¹ العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 134.

صورة بريشة أحد الأطباء الفرنسيين لرؤوس الشهداء الثلاث التي قطعت في ثورة الزعاطشة عام 1849م علقت على المقصلة التي أقامها الجنرال هريون على باب معسكره



1

ملحق رقم 04

قصيدة الشاعر الليثاني

¹ العياشي رواجي، من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر خلال القرن 19م تصفية رواد المقاومة الوطنية وقطع رؤوسهم، مجلة حوليات، جامعة قالمة للعلوم الانسانية والاجتماعية، عدد 24، جوان 2018، ص20.

الحمد لله

فرد الجمال اسعاني بصيكت يا ابي الدونان
تومل الهاي الصعرا، سلم عليه بوزيان

(1) Le capitaine de Nevos.

411

بسم الله نبدأ اللصة صارت في آخر الزمان
هذا الروم جارطينا ايندور يردد بوزيان
بوزيان راه واعر ما هوشى مهمول لبحزيان
عنده صوب في لشانه واهله كاملة شيعان
شيرالي رانش زويجة طينجه بالبسة والمرجان
نافلين اسوار تعجب وامتلئين بالطعان
انغليز يضل ايدود وبنات الحجة تزبان
ازهرت اتصل تصمصرا يتوس قلب الدهشان
الله يمتعنا و يمتعكم من نار الحمرة تشيان
والله احنا رانا تابعين وسلطان في كل ما كان
الي شايف النبي يربح محمد سيد الانسان
ان شاء الله من حوضونروا من عمل و خسر و لبان
تابعين طويق النبي و مصدقين بابوزيان
ان شاء الله في الدنيا نساعدوا و في الجنة يقول مصمان
يا لاسلام خسارة منكم انبوا في اولاد جوان
كل اخر يقول نعم والغنيمة سهم اللومين
يلعن الدنيا الخدامة عسوانه لا تعطى لالمان -
كانشي من منت الداه يزرعوا كينه كتان
سال الطلاب الي يتكويهم طلعاه واهل الفران
كان بجهاد احرام على ابع طريق الصليان
لا حكم للطالب الرضى بضدع الدنيا بالالمان

1

يقول الجهاد حرام علينا يكذب ع بوزيان
 حاشا أربعة بن دمينح والى ع فلب لامان
 غيرالى كاجر بالطاهر و فرم ذاك الشيطان
 الله لا خصمابة اتجينا اولادت عس شبان
 غيرالى نعرجه نردم محسوبين فلان فلان
 يعيبوا نجمعهم بطمطم و ابصار للعد بيان
 بسى الشيخ فله متهاى و يموت عليه حيث كان
 منين جاننا بو شلعم الصاج احمد بو طلعان
 جنب عساكر مسجونة و جنب اله من الفومان
 فرعها من النل الشريف البكرة لاهل الزيبان
 فليناه و راج ع هانا جنب عسماية قومان
 اهل لفاقة متاج الزدمة بهدو مثل العليان
 اهل الراى مع المشورة من بكرى ناصو بالفتان
 اربعة ابراهيم الفايح ولد الياشا بو طلعان
 راشف زويجة ع حوامو زنادات جزيري نيوان
 ناقل السباعى بالهصة سور حرسها يزيان
 مثل الطير الراسى بعزرتبر من العديان
 كيجب يهد ع شاي الصف اولادة اهل لفاقة كان
 وين مبارك بن لاهمر بالهك من صويو بضعان
 ينده بعامد لاهول زرب كتابو ياشومان
 اذا ماد تصدرو بو نوحه سيد يصرب بالطلعان

ينده المسعود الفايح ابن العديان
 واكب زرقه مثل غزال و سرجها شعال بيان
 تيد الصاج المغارى و اولادت الشرواء نوان
 فاقلين الصرب ساج انقليز بلاد حان
 جايته صافرة بطناسة بيم العرب و سليمان
 ناصر بن الدين قبالة متوكطين على الرحمان
 يرحم مبارك بن لاهمر و على بن ادود جتان
 اولادت عبد الله جملة طاهوا ع شاور الميدان
 الى فال الفول امحمد ليشانى نظم نيوان
 حيار الفول على الهادي السادي النبي العدنان

قصيدة الشاعر الفلياشي ابن الشرقي

416

بسم ربي نجد القول
وانتمني على الرسول
يا درا ولغنه الميعول بين سیدی وفاس الكبار
جات ليهم فذ الجردان
والعساكر مثل الويدان
يعلموا بعبادة لاوان
لن نخلوعا ونبقى فبرا
جملة من كل اوطان
من المدينة للغرب المناسان
لم عساكر حتى لوجران
ذي نصية ما ذا جرا
والجزاير من كل موسى جات
سكينة وعفاية بالبلات
على الزعاطفة تلافات
تورخويا من هويلرا
العساكر واليوم تدور
والمدافع تصعر بالكور
ويبعدو على الراي المكسور
فالوا نخلوعا الدشرا
والطنابير مثل الرعود
ومن الجعب يتكلم بارود

417

بعاولا الصارة ويهود
فعدت منشرا
فلنا لهم والله يا خزبات
ان نخلكم في هذا المكان
لن تعودوا مثل الذبان
تبصرو وتصحوا في حصرا
نزعوني ايا شيان
واينهم حد اولاد جوان
كنت مكدر حيران
في صهيري طناحت جعرا
في قلبى فدادت النيران
باش انا شرهان
من يبشرنا يا الاخوان
يكن في الجنة النصارا
يوسيج يا بوزيان
لا لي ملجيم يعنا
رايح مريس يانينا بختيار
الحال حالكة يا فهار
يا الله يا عالم الاسرار
وهب جيش الكبار للزمهريرة
صربت لايزار

Revue africaine, 29^e année. N° 174 (NOVEMBRE 1885). 27

1

¹ R, A OP.CIT, PP(416-417)

ندتهم كيف اسحاب المختار
 نشعر عنهم يا بهام
 نشكر سيد الا
 يوسف يا بوزيان
 انا سرير و انكتي هيج
 درت الحق وقبت النبي
 سميتك نبرا من السما
 نلظ بك نساء و سفار
 و الطلبة. آل نلرا لاسوار
 نيتهم يا عالي لافدار
 نبضو و نجررو في حصرا
 نيك داخل لاكباد
 ربي بلغني المراد
 بركة سيادي اهل السهاد
 اوليا. الله مع الكرما
 يوسف يا بوزيان
 هو الي بس لاسعال
 كل يوم التذو بلسان
 الي ساكن في قلبه لايمان
 يستصر جيها يا بهام
 انا ماجزو لا حتى لابعاد

من زار ذاك المعاد
 اعل الزمية وناس العرمة
 يوسف يا بوزيان
 جيت نرفد ما طاب نعام
 حوطة بي ذاك الوسواس
 من حديث بتكرويح الراس
 في الضواطراد رزيت
 كتر شعبي بي لابنات
 خعت انا من بعض الكشعات
 جبروا و يروحوا جهات
 ذيك ليحي واشعيا
 حتى عطلي بلول لي كباش
 تضاي عنهم لا بس
 معزز منهم طيب لابناس
 المعطبي سيد روية
 لا يطل يا راعي السرحان
 حيدره نفال السلسال
 نبيك تبيني حيلة
 و انشوب ما ذا جرا بي
 كل يوم نضم نختار
 احي جانبي ذاك البشار

عاد ملق طم الخطار
 قال لي اذا لاهل مسمي
 برحت انا و زال الضروب على
 عاد عندي كمثل العيد
 من الغرام مكنتي صهيد
 ربي عالم بالعقيا
 حتى من ملايكة الرحمان • بلولوا بصر بوزيان
 لا تشبي فيه العديان • بمنعوا من هذا الداهية
 شيعكم وصلت للسلطان • حوست من الربة اركان
 الحضر و جميع العربان • حتى لنونس و البلديا
 من كلام منظم بالسلس • جيب ما فيه تدسلس
 على بن الشرفي في بليانس • يا الله و الطيب بيا

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

1. REVUNE AFRICAINE, Volume, 1885.N°.29.

المراجع :

1. الأمين أحمد، صورة مشرفة من الشعر الشعبي الجزائري، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
2. الزاوي الطاهر محمد، تاريخ الفتح العربي في السيادة، دار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ط4.
3. العلوي الطيب محمد ، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985.
4. الظاهري أبو عبد الرحمان بن عقيل ، عبد الحليم عويس، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، دار العلوم، الرياض، سنة 1981.
5. التلي بن الشيخ ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1830-1945)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
6. التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1990، الجزائر.
7. درواز الهادي ، من تراب الولاية السادسة ، بوزريعة، الجزائر، دار الهومة، 2009.
8. مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
9. زوزو عبد الحميد ، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية(1837-1939)، ج1، تر: حاج مسعود، دار الهومة، الجزائر، 2005.
10. زوزو عبد الحميد، ثورة الأوراس 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986.
11. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
12. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
13. سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5، 2007.
14. شرف عبد العزيز، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، 1991.

15. صيد عبد الحليم، شمس بسكرة على الثقافة الجزائرية، مديرية الثقافة على بن زيد للفنون المطبعية، بسكرة، الجزائر.
16. عباس فرحات، ليل الاستعمار حرب الجزائر وثورتها، الجزائر، وزارة الثقافة، 2009.
17. عباس محمد الشريف، القصيدة والمقاومة الشعبية، سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد محمد شعباني بسكرة، دار على بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الإصدار الثاني، 2013.
18. عميراوي أحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.
19. فركوس صالح، الحاج أحمد باي، (1826-1850)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
20. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844م-1971)، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006.
21. مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954-1962)، شركة الزيبان للفنون المطبعية، بسكرة، الجزائر، 2005.
22. مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، رصد لصور المقاومة في النثر الفني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ج 1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2003.
23. منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
24. مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

المجلات والدوريات

1. ابن سالم المسعود، جهاد وسيرة الحاج موسى بن الحسين الدرقاوي، (1796-1869) من خلال كتاب صادر حديثا، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية تصدر عن المركز الجامعي بغيليزان، الجزائر، العدد 1، جامعة زيان عاشور، الجلفة.
2. المعموري محمد عبد الله، أحم جاسم محيد، قبيلة زناتة وأثرها على حركة الخوارج في المغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد 23، جامعة بابل، 2016.

3. بلعزوز العربي ، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849م على ضوء الكتابات الأجنبية، مجلة عضو الجديدة، مجلد08، العدد01، جامعة حسيبة بن بولعيد الشلف، ماي 2017/2018 .
4. بلغيت محمد لمين، ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية، مجلة المصادر، المجلد الأول، العدد 2، المركز الوطني للدراسات التاريخية في الحركة الوطنية.
5. بن يوسف تلمساني، التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان، جامعة الجزائر، العدد 22
6. بورايو عبد المجيد، الشعر الملحون وتاريخ الثورة من خلال بعض النماذج (محمد بن قيطون/ بلقاسم بن زغادة، أحمد كرومي)، مجلة الموروث، جامعة الجزائر2/ بوزريعة، العدد02.
7. بوعزيز يحي ، مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن 1«، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ع79، 1980.
8. خليفي عبد القادر، الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر 2002.
9. بو دالية رشيدة ، المقاومة في شعر سيدي لخضر بن خلوف -قصة مزعران نموذجاً، مجلة الموروث، جامعة الحاج أكلي محند، البويرة، العدد01، 2012.
10. طالبي عبد القادر، الشاعر الشعبي وتسجيل أحداث الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة سياقات، المركز الجامعي نوري البشير البيض، الجزائر، المجلد04، العدد03، 2019.
11. قصيدة الوهراني عبد القادر دخول الفرنسيين، مجلد الآمال، اصدارات وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، العدد04، نوفمبر/ ديسمبر، 1969.
12. نايلي عبد القادر ، مذكرات العسكريين الفرنسيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي ومدى مساهمتها في تدوين تاريخ الجزائر "المقاومات الشعبية نموذجاً"، مجلة تاريخ العلوم ، مجلد ، العدد 13، جامعة زيان عاشور الجلفة، جوان 2020.
13. عزوزي أحمد الطاهر: مقاومة الأوراس خلال الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر الفترة (1837-1879)، مجلة التراث، دار الشهاب، باتنة، ع1، 1986.
14. شاحطو علي ، قراءة في قصائد المقاومة- شعر محمد بلخير نموذجاً- مجلة أبحاث، جامعة وهران1، العدد 05، ديسمبر 2017.

15. فريحي مليكة، المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلو عود الند الثقافية، العدد 7، 2015.
16. كحول عباس، مقومة الزعاطشة من خلال مواقف ومراسلات شيوخ الزوايا بالزاب الشرقي وأحمر خدو، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 25، ج2، ديسمبر 2017.
17. لونيبي رابح، انتفاضة سكان واحة الزعاطشة عام 1849 من خلال مذكرات هيريبيون، مجلة عصور التاريخ، المجلد 01، العدد 2، جامعة وهران.
18. حموده مصطفى، المقاومة في أدب مفدي زكرياء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012.
19. مسمودي فوزي، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، العدد 52، 2003.
20. مسمودي فوزي، « معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة»، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، عدد03، ديسمبر، 2004.
21. مياي إبراهيم، ثورة الزعاطشة 1848، مجلد دراسات تاريخية 11-12، المجلد 8، العدد 1، جامعة الجزائر.
22. براشيش نصر الدين، المقاومة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر "ثورة الزعاطشة نموذجاً"، مجلة الحقيقة، العدد43، جامعة أدرار.
- الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه)
1. شلبي شهرزاد، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2009/2008).
2. قاسي فريدة، الدولة في فكر الأمير عبد القادر "1832-1847، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، (2000-1999).
3. كحول عباس، الزاوية السياسية بين المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي بالزيبان (1838-1876)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر 2، (2018/2017).

4. مسمودي نصر الدين، دور ومواقف العقيد شعباني محمد في الثورة وفي مطلع الاستقلال (1954-1962)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر جامعة الجزائر (2009-2010).
5. ouatmani setar , L insurrection de zaachta en1849 resitance et solidarite dans les ziban these doctorat univ – aix –marseille1 1992 .

الدواوين الشعرية

1. حمدي أحمد، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني، الجزائر.

المراجع باللغات الأجنبية

1. Faucon, Narcisse: Le livre d´or de l´Algérie, challamel, éditeur paris 1899.
2. Marthe et Edmond Gouvion, Kitab Aayane el –Marhariba- Tervitoires : du sud, imprimerie oriental Alger, 1920.
3. ouatmani setar , L insurrection de zaachta en1849 resitance et solidarite dans les ziban these doctorat univ – aix –marseille1 1992 .

فهرس الموضوعات

	إهداء شكر وعرهان مقدمة
أ - ز	
24- 13	مدخل تمهيدى:لمحة عامة حول منطقة الزيبان قبيل انتفاضة الزعاطشة
15- 13	1 - الإطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزيبان
19- 15	2 - الإحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان
24- 19	3 - الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبيل الإنتفاضة.
46- 26	الفصل الأول. انتفاضة الزعاطشة
35 - 26	أولاً.لمحة عن الانتفاضات الشعبية بالزيبان قبيل 1849م
28 - 26	1 - مقاومة القنطرة وبسكرة وسيدي عقبةومشونش 1844م
29 - 28	2 - مقاومة شريف بلقاسم بالنمامشة والخنقة وليانة وبادس 1846م
30 - 29	3 - مقاومة أولاد جلال 1847م.
35 - 30	4 - معركة وادي براز 1849م.
46 - 35	ثانياً: انتفاضة الزعاطشة 1849م
38 - 35	1 - ظروف وأسباب الإنتفاضة
44 - 38	2 - مراحل وحيثيات الإنتفاضة
46 - 44	3 - نتائج الإنتفاضة
72 . 48	الفصل الثاني. صورة انتفاضة الزعاطشة في الأدب الشعبي
48	أولاً. لمحة عن الانتفاضات الشعبية في الأدب الشعبي.
52- 48	1 - الأدب الشعبي خلال فترة الاحتيال الفرنسي.

فهرس الموضوعات

60- 53	2 - نماذج عن صورة الانتفاضة في الأدب الشعبي
61	ثانيا. صورة لانتفاضة الزعاطشة في الأدب الشعبي
62 - 61	1 - الأدب الشعبي بالزيبان خلال فترة الإحتلال الفرنسي
68 - 62	2 - الشاعر أحمد الليشاني
72 - 68	3 - الشاعر الفلياشي ابن الشرفي
75- 74	خاتمة
83 - 77	الملاحق
89 - 84	قائمة المصادر والمراجع
92- 90	فهرس الموضوعات
93	ملخص

الملخص

يقوم التاريخ على الأصول ولا تاريخ دون أصول، إذ أن أغلب الكتابات التي تناولت المقاومة الشعبية هي كتابات الضباط الفرنسيين، الذين تناولوها بإيديولوجية المدرسة الاستعمارية، منها مقاومة الزعاطشة التي ارتبطت بمأساة قطع رؤس قادة وشيوخ المقاومة، ولتنوع مصادر هذه المقاومة فتحنا مجال البحث، النقاش في دور الأدب الشعبي في توثيق مقاومة الزعاطشة وقائدها وشيخها بوزيان الزعطوشي.

Sommaire

L'histoire est basée sur les origines, et il n'y a pas d'histoire sans origines, car la plupart des écrits qui traitent de la résistance populaire sont les écrits des officiers français, qui l'abordent avec l'idéologie de l'école coloniale, y compris la résistance de Zaatsha, qui était liée à la tragédie de la décapitation des chefs et des cheikhs de la résistance, et pour diversifier les sources de cette résistance nous avons ouvert le champ de la recherche, de la discussion dans Le rôle de la littérature populaire dans la documentation de la résistance de Zaatasha et de son chef et cheikh, Bouziane Zaatoushi .